



تاريخ الدولة العربية الإسلامية

تأليف

الأستاذ الدكتور

ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم

استاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

بكلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

للعام الدراسي

٢٠٢٢ / ٢٠٢٣ م

**الفرقة الأولى عام
قسم التاريخ**

**العام الدراسي ٢٠٢٢ / ٢٠٢٣ م
الفصل الدراسي الأول**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
صدق الله العظيم

الفصل الأول

الفصل الأول

حياة النبي ﷺ في مكة المكرمة

مولده ونشأته وبعثته :

ولد محمد صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول والموافق ٢٠ أبريل سنة ٥٧٠ ميلادية في مكة المكرمة ؛ وأبوه هو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، وينتهي نسبه إلى قبيلة قريش أعظم قبائل مكة المكرمة في ذلك الوقت ؛ وروي أنه ابن الذبيحين ، فالذبيح الأول يقصد به سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، والذبيح الثاني هو عبد الله والد سيدنا محمد عليه السلام ، وكان أبوه عبد الله بن عبد المطلب من جملة أولاد عبد المطلب الذين بلغوا عشرة بنين ، وست بنات .

وقد تزوج والد النبي عبد الله من أمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة ، وتلتقي مع نسب زوجها عند كلاب بن مرة ، ولذلك يعتبر محمد عليه السلام أشرف الخلق أجمعين ، وكان سن عبد الله وقت زواجه ثلاثون عاما ، وعاش معها فترة قصيرة ورحل بعد الزواج في سفر للتجارة في بلاد الشام ، وتوفى بالطريق دون أن يعود إلى زوجته ؛ ودفن بالمدينة عند أخوال أبيه بني النجار ؛ وكانت حملت من زوجها بمحمد ولما وضعت ورثته حتى بلغ السادسة من عمره فماتت السيدة أمنة بنت وهب

في مكان بين مكة والمدينة عرف بالأبواء ، وقيل أنها مضت لزيارة قبر زوجها عبد الله ومعها عبد المطلب جد النبي وأم أيمن حاضنته ثم أرضعته بعد ذلك حليلة السعدية ، وقد تكفل برعايته جده عبد المطلب وضمه إلى أولاده ، وكان يحبه ويشمله بوده وحنانه أكثر من أولاده ، وكان لا يأكل إلا معه ، وكان يجلسه تحت ظل الكعبة ، وكان يقول لأعمامه عندما يريدون أن يقصوه عن مجلس أبيهم وفرأشه لا دعوه فإن له شأننا أم ترونه ؟ ويقبل رأسه وفمه ويمسح ظهره ويسر بكلامه وما يرى منه ، وكان يرعى الغنم ، ولما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب ، وكان النبي يحب أبا طالب ولا ينام إلا بجواره ، فإذا خرج أبو طالب ذهب معه ، ولما بلغ النبي اثنتي عشرة سنة خرج مع أبي طالب للتجارة إلى الشام ، ولما وصلت القافلة إلى أرض بصرى بالشام ، رآه راهب نصراني منقطع للعبادة في صومعة ، وكان يسمى بحيراء ، ولمح في النبي علامات النبوة ، فأوصى أبا طالب أن يعود به مسرعا إلى مكة خوفا من أن يراه اليهود ، وبالفعل انتهى من تجارته ورجع إلى مكة حرصا على النبي عليه السلام .

ولم يرتكب النبي سوءا قط ، لأن الله عز وجل قد أحسن تأديبه ، وكمله بالأخلاق الحميدة ، وهذا ما شهد له أقرانه في بني سعد منذ أن كان طفلا ، وشهد له شباب مكة عندما كان يرعى الغنم حول مكة معهم ، وقد شهد حرب الفجار الرابعة التي اندلعت بين قريش وكنانة من جانب

وبين قيس عيلان من جانب آخر ، وكان يناول أعمامه النبال للدفاع عن قريش ، وأنه شهد حلف الفضول والذي كان من أهم مبادئه نصره المظلوم على الظالم أيا كان من مكة أو خارجها ، وذكر النبي عن هذا الحلف : " لو دعيه به في الإسلام لأجبت " ولم يعبد صنما ولم يشارك أهله في عبادته ، وأطلق عليه اسم الصادق الأمين ، وقال عنه المولى عز وجل : " إنك لعلى خلق عظيم " وعندما بلغ النبي عليه السلام سن العشرين اشتغل بأعمال التجارة ، وقد طلبته السيدة خديجة بنت خويلد ، وهي من أعظم نساء مكة شرفا ومالا ولها تجارة واسعة للعمل في تجارتها عندما بلغها أمانته وصدقه ، وسافر بتجارتها بصحبة غلامها ميسرة ، وكسبت هذه التجارة مكاسب جمة ، فحدث ميسرة سيده خديجة عن أمانة وطهارة وصدق محمد عليه السلام ، وذكر لها أن أحد رهبان الشام ويدعى (نسطور) بلغ محمد بنبوته ، وارتبطت السيدة خديجة بمحمد برباط الزواج ، وكان هو في سن الخامسة والعشرين وهي امرأة في الأربعين ، وتزوجت قبله مرتين ، ولم يتزوج غيرها من النساء إلا بعد وفاتها ، وأنجبت ولده كلهم إلا إبراهيم ، وحزن عليها النبي عندما توفيت ، وتآلم لفراقها .

ونرى ما تمتع به النبي عليه السلام من احترام قريش قبل بعثته ، فعندما كان في سن الخامسة والثلاثين ، شارك محمد قبيلة قريش في إعادة بناء الكعبة ، وكان يعمل بنقل الحجارة والبناء ، وعندما انتهى

البناء حدث خلاف بين بطون وقبائل قريش حول من يضع الحجر الأسود مكانه بالكعبة وينفرد بهذا الشرف ، واتفقوا على أنم يحكم بينهم أول من يدخل عليهم من باب شيبية ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم هو الداخل ، فرضوا به ، وقالوا : إنه الأمين ، وأخبروه بنزاعهم ، فبسط رداءه ووضع الحجر عليه ، وأمرهم أن يتخذ رجل من كل قبيلة طرفاً من الثوب ، ورفعوه حتى انتهوا إلى موضعه ، فحمله الرسول عليه السلام ووضع في مكانه ، كما أنه كان يعبد الله الواحد على نهج الديانة الحنفية ، وكان يحاور غراء حراء كل سنة شهراً للتأمل في الكون وخالقه وعظمة الله عز وجل .

ورزق سيدنا محمد بزوجة صالحة على قدر من الثراء ، هياً ذلك له فرصة التفرغ للعبادة : " ألم يجداك يتيماً فأوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى " كما أعطاه كبر سنه مزيداً من العمق في التفكير والتدبر في خالق الكون ، ومنحته أخلاقه الحسنة مزيداً من الصفاء ، وشجعت زوجته العظيمة على رغبته فكانت تعد له الطعام ، الذي يأخذه إلى غار حراء ، وحدث الصفاء النفسي للنبي عليه السلام ، وظل يشغل بهذا التفكير حتى نزل عليه الوحي جبريل عليه السلام في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان ، وضمه إليه ضمة شديدة ، ثم أطلقه وقال : اقرأ ، فأجابته الرسول : " ما أنا بقارئ " فعاد جبريل فضمه ضمة بشدة ثم قال له : اقرأ ، فأجاب الرسول بقوله : ما أنا بقارئ ، فضمه مرة ثالثة

ثم أطلقه وقال له : " اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ،
اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم " .

ومن الملاحظ أن هذه الآيات أول آيات نزلت من القرآن الكريم ،
ونلاحظ أنها لم تخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة ، ولم تكلفه
برسالة ، وإنما تخبره بشيء جديد لم يتوقعه ، ولذلك أسرع إلى بيته وهو
يرتجف ، وأخبر زوجته خديجة رضي الله عنها ، وقال لها : خشيت على
نفسي ، فهدأتم من روعه وقالت له : والله لا يخزيك الله أبدا ، وأشارت
عليه أن يذهب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخا جليلا ، فلما
أخبره النبي بما حدث له ، قال ورقة : إنه الناموس الذي ينزل على
الأنبياء ، وأخبره أن هذا الأمر سوف يجر عليه عداة أهلك ، وتمنى
ورقة أن يكون أحد أنصار النبي عليه السلام ، ولكنه مات بعد قليل .

ومكث الوحي لم يأت إلى محمد عليه السلام ، حتى شق على
النبي ذلك ، واشتاق لرؤية هذا الوحي مرة أخرى ، وأخذ يتأهب للوحي
الذي كان يظهر له وهو يأتي إلى رؤوس الجبال مرارا ويقول : إنك نبي
، وبينما كان يسير يوما فسمع صوتا فرأى جبريل في السماء ، فخاف
وارتجف النبي عليه السلام ، وأسرع إلى داره يرتجف ، وأتى زوجته
خديجة ، وقال : دثروني دثروني ، فدثروه ، وجاء الوحي وهو في هذه
الحالة ، وألقى إليه دعوة ربه : " يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ،
وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر "

وهنا بدأ أمر التكليف من قبل المولى عز وجل إلى سيدنا محمد بالدعوة الإسلامية ، وهنا نهض الرسول عليه الصلاة والسلام بكل ورع وقوة لتحمل هذا التكليف الموجه إلى الناس أجمعين لإخراجهم من الضلالة إلى الهدى .

بدأ النبي عليه الصلاة والسلام دعوته سرا ، فدعى أهل بيته ، ودعى خاصة أصدقائه ، وكانت الدعوة بسيطة جدا ، وتتلخص في عدة كلمات ، وهي عبادة الله الواحد والإيمان به ، ونبذ عبادة الأوثان ، فأمنت زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وزيد ابن حارثة مولاه ، وآمن به أبو بكر الصديق ، ثم أسلم وآمن عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والأرقم بن أبي الأرقم ، والذي جعل بيته ليكون ملتقى الدعوة السرية الجديدة ، ودخل في الإسلام مجموعة من الفقراء والموالي ، ومكثت الدعوة السرية لمدة ثلاثة أعوام .

وشملت الدعوة كثير من رجال مكة ومنهم أبو سلمة بن عبد الأسد ، وعثمان بن مظعون ، وأخواه قدامة وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث بن سعيد بن زيد بن نفيل ، وزوجته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وخباب بن الأرت ، وعمير بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس ، وخنيس بن حذافة ، وعبد الله بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ،

نعيم بن أسد ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان ، وانتشرت الدعوة في أرجاء مكة وتحذت قريش بها ، وسمع بها الجميع ، وأخذ المسلمون في التكاثر العدى سرا ، وكل يوم في ازدياد مطرد ، وكلف الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بإظهار وإشهار هذا الدين والجهر به ، ونزلت عليه الآية الكريمة : " وأنذر عشيرتك الأقربين " وصعد رسول الله على الصفا ، فنادى قومه ، فأقبلوا عليه ، وسألوه ماذا تريد ؟ فقال : فلقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، رأيتم لو أخبرتم أن خيلا بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ فقالوا : نعم ، أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط . قال تعالى : " قال إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد " يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة ، حتى ذكر فروع قريش كلها ، إن الله أمرني أن : " أنذر عشيرتك الأقربين " وإنني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله ، فقال أبو لهب : تبالك ألهدا جمععتا ؟ فأنزل الله عز وعلا فيه : " تبت يدا أبي لهب وتب " وكانت دعوته لعشيرته المقربين تمثل مرحلة الجهر بالدعوة والانتقال لدعوة الناس عامة لهذا الدين القيم .

استمر عليه الصلاة والسلام في نشر الدعوة بين كل الطوائف والأفراد ، وأنزل الله تعالى قوله : " فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن

المشركين " فدعى السادة والعبيد والغرباء والحجاج ، وعاب الأصنام والأوثان وسفهاها ، وحقر من شأنها ، وعندئذ أعلنت قريش رفضها لدعوة النبي عليه السلام ، بل ومقاومتها له بكل السبل والطرق ، وكان أسباب هذه المقاومة من جانب قريش عديدة أهمها : الاعتراف من جانب الإسلام بحرية العبيد والرقيق لأن الله خلق الناس جميعاً أحراراً ولا يخضعون لأعمال التجار مثل السلع والبضائع ، والإنسان حر في كل الأعمال ما عدا استغلال الإنسان للإنسان وهذا هو مبدأ الإسلام في المساواة والعدل بين الناس جميعاً ، ولا فرق عبد وسيد ، والناس سواسية كأسنان المشط ، كما أن الإسلام حرم القتال وقتل الناس إلا بالحق ، وهذا شق على العرب الذين دأبوا على السلب والنهب والهجوم والقتال لأتفه الأسباب ، اعتبرت قريش أن محمداً عليه السلام سيكون سيدياً وزعيماً على مكة ، ويضيق السيادة ويجعلها لآل عبد المطلب على سائر قريش ، البعث بعد الموت ومحاسبة كل إنسان على ما فعل بالدنيا ويقف الناس أمام الله في يوم الحساب : " يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى بقلب سليم " وكرهوا التجرد من دين الآباء والأجداد وقال الله فيهم : " أو لو كان آبائهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون " كما كره العرب وقريش الإسلام لأنه يحرم الأصنام وبيعها ، وحرّمهم من المكاسب المادية التي تعود عليهم من جراء ذلك ، وذهب قوم أو جماعة من قريش إلى عم الرسول عليه السلام ، وهو (أبو طالب) وأبلغوه أن محمداً عاب الآلهة ، وحقر

دينهم وسفه أحلامهم وضلل آبائهم ، وطالبوا أن يكف محمد عن ذلك ، أو يخلي بينهم وبينه ن وخاطبهم أبو طالب خطابا جميلا ، ووعدهم بدراسة الأمر مع ابن أخيه محمد عليه السلام ، ولكنه لم يتمكن من محمد حتى يخاطبه في أمر هذه الدعوة لأنه مشغول بالتبشير بها ، وأبو طالب يعم أن محمدا على الحق ، واستعجل أمر النبي ودعوته فجاء وفد من قريش إلى أبي طالب وقالوا له : يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإننا استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإننا والله لا نصبر على هذا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ، وانصرف وفد قريش ، بعد أن أنذر أبا طالب إنذارا شديدا للهجة ، ولم يستمعوا لردده عليهم ، وعرف أبو طالب أن قرشا جادة في مقاومة محمد عليه السلام .

وهنا أرسل أبو طالب بمن أتى بمحمد عليه السلام إليه ، وذكر له ما دار بينه وبين قريش من حديث في شأن الإسلام ، وطلب منه أن يبقى على نفسه وعليه ، وألا يحمل عمه ما لا يطيق ، فظن النبي أن عمه خاف من قوة قريش ، ورضخ لأمرهم ، فقال النبي : " يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " وفي هذه المقابلة بين أبي طالب ومحمد ، فهم أبو طالب حقيقة دعوة محمد وأن ابن أخيه مرسل من عند الله ، وأن هذا الدين حق ، فلم يبالي بترهيب ووعيد قريش له وأيد النبي وقال : " اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك بشيء أبدا " وعضد أبو

طالب سيدنا محمد وحماءه بكل نفوذه وسلطانه ، بالرغم من بقائه على وثنيته . أعانت قريش إيذاء محمد وأتباعه ، وكان من أعتى الناس وأعنفهم عليه أبو لهب وزوجته (أم جميل) أروى بنت حرب ، فكان أبو لهب يضع القاذورات على باب محمد ، وأم جميل تغرس الأرض بالأشواك ، في طريق محمد ، وتعرض ياسر وابنه عمار وزوجته سمية للتعذيب والاضطهاد ، كما تعرض بلال وخباب بن الأرت لأنواع بشعة من العذاب ، ومات ياسر وزوجته سمية ، وسارع أغنياء المسلمين في شراء العبيد المسلمين من الكفار حتى ينقذونهم من الألم والعذاب ، فكان الكفار يضعون هؤلاء بالجوع والعطش ورمضاء مكة في أيام الحر والقيظ ، وتعرض بعض سادات قريش ممن دخلوا الإسلام للإيذاء مثل : أبي بكر وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وأبي عبيدة بن الجراح ، وكان من الممكن أن يدافعوا عن أنفسهم ، ولكن الأمر باستعمال القوة للدفاع عن النفس لم يكن قد جاء ، والرسول نفسه لم يمسه أي إيذاء بسبب حماية أبو طالب له .

هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة :

استمر اضطهاد قريش للمسلمين حتى بلغ الاضطهاد أشده على عاتق من دخل الإسلام ، ووصل إلى حد القتل والتعذيب ، فكر الرسول عليه السلام في بلدة غير مكة يلجأ إليها المسلمون حتى يبتعدوا عن أذى المشركين وتقيهم شر قريش ، وكان ملك الحبشة يشتهر بالتسامح ولا

يظلم أحدا ، وبالتالي أن أهل الحبشة أهل كتاب فهم مسيحيين ، وربما يكون قصد النبي تأييد دعوته من شعب مسيحي له قوته ، وحتى تعرف قريش أن بإمكان محمد أن يلجأ إلى قوة خارجية لحمايته ، وذكر ابن هشام أن نجاشي الحبشة نفسه قد آمن بالإسلام وبرسالة محمد عليه السلام .

وكانت هذه الهجرة الأولى سنة خمس من البعثة ، وكان عدد المسلمين فيها أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ، والزبير بن العوام ، وأبو حذيفة وامراته ، وكان رئيس هؤلاء المهاجرين عثمان بن مظعون ، وركبوا سفينتين من ميناء الشعيبية ، وكانت لبعض التجار إلى بلاد الحبشة ، وأرادت قريش الإمساك بهم ، وأسرت في أثرهم ، ولكنها لم تدركهم .

الهجرة الثانية إلى الحبشة :

وجاءت بعد أشهر من الأولى ، واشترك فيها ثمانون رجلا وعدد من النسوة ، ومنهم أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجة عبيد الله بن جحش ، وكان زعيم هذه الهجرة جعفر بن أبي طالب ، وكان معه زوجته أسماء بنت عميس ، وعمرو بن سعيد بن العاص وامراته فاطمة بنت صفوان ، وعتبة بن غزوان وعبد الله بن مسعود ، والمقداد بن الأسود ، وعدد آخر غيرهم ، ولما رأت ذلك قريش وسمعت عن استقرار المسلمين بالحبشة ، فأرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما هدايا

ثمينة لملك الحبشة وحاشيته ، واحتوت على مستطرف من متاع مكة ، ولما وصلوا بلاط النجاشي دفعوا بالهدايا إلى أصحابه وقالوا لهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد أرسلنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا ، وعلى ذلك استدعى النجاشي أصحاب الرسول ، فتقدم جعفر بن أبي طالب وقال له : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيئ الجوار ويأكل القوي الضعيف ، فكنا كذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ... فصدقناه وآمنا به واتبعنا على ما جاء به من الله " وقص عليه ما لاقوه من اضطهاد قريش وأسباب لجوءهم إلى الحبشة ، فطلب النجاشي من جعفر أن يقرأ عليه شيئا من القرآن الكريم ، فقرأ عليه صدرا من سورة مريم : " كهيعص ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفيا " فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى الأساقفة من حوله ، وصرف وفد قريش دون أن يسلمهم أحدا من المسلمين .

وغضب عمرو بن العاص ومن معه ، فرجعوا مرة أخرى إلى النجاشي ، وذكر له أن المسلمين يطعنون في عيسى بن مريم ، ولذلك استدعى النجاشي جعفر بن أبي طالب وقال له : ما قول الإسلام في

عيسى بن مريم؟ فقال: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم الذراء البتول " فأعجب بكلامه ملك الحبشة، وعرف أن محمدا هو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم، وطرد الوفد القرشي ورد عليهم هداياهم، وأمر بحماية المسلمين وتوفير الأمن والطمأنينة لهم، وعندما بلغ المهاجرون أن محمدا عقد صلحا مع قريش رحلة طائفة منهم إلى مكة، وعندما أتوا مكة وجدوا عدم صدق ما سمعوه فرحلوا مرة أخرى إلى الحبشة، فكانوا ٨٣ رجلا و ١٣ امرأة ورجع منهم ٣٣ مهاجرا وثمان مهاجرات إلى مكة، وباقي المهاجرين رجع إلى المدينة بعدما استقرت الأمور للرسول عليه السلام.

قمة الجهود القرشية في اضطرهاد المسلمين :

وجهت قريش عداها واضطرهادها إلى النبي نفسه، فبدأت بإراء الرسول بالمال، ثم عرضوا عليه الملك والزعامة على قريش، ولكن هيهات كل ذلك مع النبي الذي رفض كل الإغراءات وفضل المشقة عليها، ولذلك كان أبو جهل يلقي القاذورات على الرسول أثناء صلاته، ووسط هذه الصعوبات دخل رجلان من أعظم رجال مكة وذلك في السنة الخامسة من البعثة، وهما حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، وبدأت الدعوة الإسلامية تنتشر بين أقوياء قريش، وإسلام هذين الرجلين زلزل أركان قريش، فراحت تفكر في شيء آخر، وهو مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب وعزلهم تماما، فلا يصاهروهم ولا يبيعوهم ولا

يبتاعوا منهم ، ثم كتبوا صحيفة وعلقوها وسط الكعبة ، وكانوا لا يكلموهم ولا يزوروهم ، وحاصروهم في شعب بين جبلين ، واستمرت هذه المقاطعة ثلاثة أعوام ، ذاق فيها بنو هاشم صنوف العذاب ، والجوع والحرمان ، وتصايح صبيانهم من الجوع ، ومات بعض منهم ، وبعد ذلك أشفق بعض القرشيين على بني هاشم من ذلك الذي أصابهم ، فمزقوا الصحيفة وعادوا إلى الاتصال ببني هاشم ، ثم إن أبا جهل عارض ذلك ، وذهبوا إلى الصحيفة وجدوا أن الأرضة قد أكلتها ولم يبق منها إلا عبارة " باسمك اللهم " فقط ، وخرج بنو هاشم من هذه المقاطعة في السنة العاشرة من البعثة ، وأخذ المسلمون ينتفسون الصعداء .

ولكن حدث في هذه السنة عدة أمور هامة ، ففيها فقد النبي سندين عظيمين ، أولهما عمه أبو طالب الذي كان يحميه من قريش ، والثاني زوجته خديجة الطاهرة الوفية التي أعانته على كل ما لقي من نوائب على أيدي كفار قريش ، واستغلت قريش هذه الفرصة وبالغت في تعذيب النبي نفسه ، فنثروا عليه التراب ، وقال الرسول : والله ما نالت مني قريش شيئا أكرهه إلا بعد موت أبي طالب ، ولذلك فكر الرسول في أن يخرج من مكة إلى بلد آخر يلقي دعوته فيه ، وأيضا أن يدعو حجاج مكة من قبائل العرب من خارج مكة أثناء موسم الحج إلى الإسلام ، ربما يجد الخلاص في أحد هذين الطريقين ، ويخرج بنفسه ودينه من مكة .

وقع فكر الرسول عليه السلام على مدينة الطائف ، فخرج إليها في ٢٧ شوال سنة ١٠ من البعثة ، ومعه مولاه زيد بن حارثة ، ووصل الطائف وجلس مع قومها من ثقيف ، وتقابل مع ساداتها وأشرفها ، وعرض عليهم دين الإسلام ، فلم يوافقوه بل تهكموا عليه ، وأغروا السفهاء منهم ، وقعدوا له صفين وهو يسر وصاحبه زيد بينهما ، فضربوه بالحجارة حتى أدموا رجلاه ، وحدث شج في رأس زيد بن حارثة ، حتى لجأ إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة القرشي ، فأرسلوا إليه عنقودا من العنب ، ولذلك بعد أن جلس النبي عليه السلام رافعا يده إلى الله عز وجل قال : " اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس " ورجع مهموما إلى مكة في ٢٣ ذي القعدة من نفس العام ، ولم يستطع دخول مكة إلا في حماية المطعم بن عدي الذي أجار النبي وحمل سلاحه وأدخله مكة ، وجعله يقيم صلواته في الكعبة ، واطمئن الرسول عليه السلام على نفسه ، ولكنه كان مشغولا بأصحابه .

الإسراء والمعراج :

بعد عودة الرسول عليه السلام من الطائف أخذ يقابل حجاج الكعبة من قبائل ووفود العرب القادمة من مختلف بقاع الجزيرة العربية ، وكانت هذه اللقاءات تتم بمجنة وعكاظ ومنى ، في الوقت الذي وظفت قريش بعض الوفود ليقابلوا حجاج وتحذروهم من دعوة محمد وترمي محمد بالسحر والجنون والصفات القبيحة الأمر الذي جعل هؤلاء الحجيج

يتشوقون لرؤية هذا الرجل ، ليتحققوا بأنفسهم من صحة هذا القول ، ومن هنا خدمت قريش محمد دون أن تدري ، وعندما يرى هؤلاء الحجيج محمد يتحققون من صدقه ومن كذب قريش ، وأعجبت الوفود بأراء محمد ودعوته ، وبدأت الدعوة تنتشر بين الناس خارج مكة .

وقبل الهجرة بعام واحد تم الاسراء والمعراج فقد أسرى بسيدنا محمد من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، كما عرج به إلى سدرة المنتهى ليرى من آيات ربه الكبرى ، فقال الله تعالى : " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " وحدث محمد الناس بهذا الحديث ، وكذبه قريش ، وذهب وفد من قريش للوقعة بين الرسول وأبو بكر وقالوا له : أتصدق يا أبا بكر أن محمد أسرى به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء ثم عاد من ليلته ؟ فخيّب أبو بكر ظنهم وقال : لقد صدقته على أكثر من ذلك على وحي السماء ، والله إنه لصادق .

وهذه الحقيقة الثابتة وهي الإسراء والمعراج والتي اختلف علماء الإسلام في تفسيرها، هل هو بالروح والجسد معا؟ فهذا حدث غير عادي ، لا يخضع لماديات الحياة ، والحق أن الرسول عليه السلام أسرى به من مكة إلى بيت المقدس ، وهناك صلى ركعتين ثم عرج به إلى السماء ، وفرض الله عليه الصلوات الخمس ، بعدما كانت خمسين ، فتألف الله

بعباده وخفضها إلى خمس ، وذلك أقدر هو ما يفتن به المسلم ويستبعد عما سواه ، ونرجع إلى قول الله تعالى في سورة النجم : " والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى " .

بيعة العقبة الأولى :

استمر محمد عليه السلام في الدعوة إلى الدين الإسلامي ، فدعى قبيلة كندة فرفضوا ، وردته بنو حنيفة ، ودعا بنو سليم وعبس وفزارة وغسان ومرة ونضر وكلب وبنو الحارث وبنو عذرة ، فلم يستجب منهم أحد ، ثم أتى بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الإسلام ، فقال له رجل منهم : رأيت إن نحن تبعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال الرسول : " الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء " وكان لهذا الجهاد المستمر من قبل الرسول عليه السلام في سبيل إظهار هذا الدين أن يجد من بعد الضيق فرجا ، فظهر شعاع أو بصيص من الأمل والنجاة ، فوجد من يستمع إليه ويستجيب لدعوته ، وكان النبي يستغل أبية فرصة للقاء وفود العرب إلى مكة ، وفي هذه المرة التقى

برهط من قبيلة الخزرج المدنية ، وذلك عند العقبة ، وكان عددهم ستة رجال فدعاهم إلى الإسلام ، وأسمعهم بعض آيات القرآن الكريم ، فأجابوه وصدقوه وقبلوا ما عرض عليهم ، وقالوا للنبي : سنقدم على قومنا يثرب ونعرض عليهم هذا الدين ، فإن أيدوك ، فلا يكون أعز منك ، ورجعوا إلى يثرب ، وذكروا لأهلهم وذويهم وقومهم ما ذكره رسول الله لهم ، حتى انتشرت دعوته في كافة بيوت يثرب ، واشتاقوا لمقابلة النبي عليه السلام ، وكانت هذه المقابلة في العام الحادي عشر من البعثة النبوية .

وفي نفس العام قدم وفد من قبيلة الأوس يطلب محالفة قريش ضد قبيلة الخزرج ، فأتاهم محمد عليه السلام ، ودعاهم إلى الإسلام ، فقال أحدهم ، وهو إياد بن معاذ : هذا والله خير مما جئنا له ، ثم عاد وفد الأوس إلى يثرب دون أن يعقدوا حلفاً مع قريش ، وكان الأوس والخزرج يسمعون من يهود المدينة أن نبيا سوف يبعث ويتوعدونهم به إذا حاربوهم ، ولذلك لما رأى الأوس النبي ولاحظوا امارات الصدق عليه ، وقال بعضهم لبعض : والله هذا الذي توعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم إليه وانصرفوا إلى بلادهم .

وبدأت الثمار تؤتي أكلها ، ففي العام الثاني الموافق للسنة الثانية عشر من البعثة ، جاء إلى مكة عشر رجال من الخزرج واثنان من الأوس ، من بينهم أسعد بن وداده ، وعوف بن الحارث ، ومعاذ بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وذكوان بن قيس ، وعبادة بن الصامت ،

وكان معظمهم قد أسلم في العام السابق ، وأدوا الحج ، ثم بحثوا عن الرسول عليه السلام ، واجتمعوا به عند العقبة وهي الأولى (بيعة النساء) واجتمعوا وفيها عاهدتهم النبي على ألا يشركوا بعبادة الله شيئا ، ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلون الأولاد ، ولا يأتون ببهتان ، ولا يعصون النبي عليه السلام ، وبعث معهم النبي مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن الكريم والإسلام ، ويفقههم في الدين ، وأسلم على يدي مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة عدد كبير من أهل يثرب من بني عبد الأشهل الأوسيين ، منهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، والذين اقتدى بهم أهل يثرب ، فأسلم عدد كبير على أيديهم ، وأصبح الإسلام بين الرجال والنساء وفي كل دار بيثرب .

بيعة العقبة الثانية :

وفي العام التالي الموافق السنة الثالثة عشرة من البعثة جاء إلى أهل مكة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل يثرب ، وهم من المسلمين الذين أسلموا حديثا بيثرب ، وعهم لفيف من الأنصار الوثنيين أيضا ، فاتفق الأنصار على مقابلة النبي عليه السلام عند أسفل العقبة بمنى ، فقدم إليهم النبي ومعه عمه العباس وكان على دين قومه ، ولكنه صحب ابن أخيه ليتوثق له ، وكان معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب ، وتحدث العباس إلى الأنصار في ذلك الاجتماع ، وأثنى على محمد ، وذكر لهم أنه في عز من قومه ومنعه في بلده ، ولكنه فضل الانحياز إلى

أهل يثرب ، وطلب منهم أن يتعهدوا على حمايته ممن يخالفوه ، ويعقدوا العزم ألا يرجعوا عن عهدهم ، ورد عليه أحد رجال الخزرج ، وهو البراء بن معرور أنهم صادقون في عزمهم ، وقام النبي ورغبهم في الإسلام وتلا بعض آيات القرآن الكريم ، فقبلوا دعوته وبايعوه وتعهدوا له بالدفاع عنه ، ورحبوا بهجرتهم إلى مدينتهم ، ثم قام أبو الهيثم مالك بن التيهان أحد رجال الأوس فقال : لا يا رسول الله ، وإن بيننا وبين الناس حبالا - يقصد اليهود - وإنما لقاطعوها ، فهل عسيت إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا ، فتبسم الرسول عليه السلام وقال : " بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم ، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتهم ، وطلب منهم أن يختاروا من بينهم اثني عشر نقيبا ليكونوا رؤساء على الناس ، واختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وبايع هؤلاء النقباء رسول الله على السلم والحرب والزود عنه وعن الدين الإسلامي بالمال والروح ، ومحاربة كل ألوان الناس الذين يعارضون الإسلام ، ثم قفلوا راجعين إلى يثرب ، وأظهروا الإسلام بها ودخل سادات يثرب الإسلام ، فأسلم سادات بني سلمة وأشرفهم ، وعدد كبير من أهل يثرب ، ومن هذه المعاهدة اعتبر النبي عليه السلام قبل أي أحد من يثرب ، ولكن وجوب الحماية عليه لا تبدأ إلا بوصوله يثرب ، وكنتم المسلمون أخبار هذه البيعة حتى لا تعلم بها قريش ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن قد أمره الله عز وجل باستعمال السلاح للدفاع عن

نفسه ، إنما كان يأمرنا بالصبر والصفح عن الجاهل ، على الرغم أن المسلمين من هو فارا بدينه إلى الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة ، ومنهم من لقي حتفه من أثر تعذيب قريش .

وعندما تسرب خبر هذه البيعة إلى قريش جن جنونها ، وسعوا للتأكد من ذلك ، وقابلوا وفد يثرب بمكة ، ولكن هذا الوفد لم يكن ممن حضروا بيعة العقبة من المسلمين ، فأقسموا لقريش أنه لا علم لهم بشيء من ذلك ، ثم تأكد القرشيون من إبرام المعاهدة بين محمد وأهل يثرب ، ورجعوا مرة ثانية يبحثون عن وفد يثرب بمكة فوجدوه قد رحل عنها ، فانطلقوا في إثر أهل يثرب خارج مكة فلاحقوا بهم ، وتمكنوا من القبض على سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وقيدوه وأذوه حتى أطلق سراحه منهم جبير بن مطعم بن عدي ، لأنه تربطه علاقات صلبة مع سعد بن عبادة ، والذي رجع بسرعة عائدا إلى يثرب ، ودبر سرعة نشر الإسلام بها ونصرة محمد صلى الله عليه وسلم .

هجرة النبي عليه السلام إلى يثرب :

أراد الله سبحانه وتعالى أن يعز الدين الإسلامي ويظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، فوجد الأوس والخزرج يتمسكون بهجرة رسول الله إليهم ، ومبادرتهم إلى اعتناق الإسلام والترحيب بقدوم النبي والمسلمين من مكة إلى يثرب ، وأرادت كل من القبيلتين الانفراد بشرف إيواء النبي ، فأمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى يثرب ، وقال لهم : " إن

الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها " فخرج المسلمون إلى يثرب
 أرسلوا سرا حتى لا يعلم قريش ، واندفع عامة المسلمين إلى يثرب حتى
 لم يبق بمكة سوى النبي وأبي بكر وعلي بن أبي طالب ، وبعض من
 حبسته قريش كرها ، ولما علمت بذلك قريش أنه صار للمسلمين دار
 منعة وهجرة وقد أفلت المسلمون منهم .

وبناء على ذلك اجتمعت قريش بدار الندوة بمكة ، ولم يتخلف أحد
 من أصحاب الرأي والشورى ، فاقترح أحدهم أن يحبسوا النبي في الحديد
 ، ويغلقوا عليه بابا ، وقال قائل بنفيه من أرض الحجاز ، ثم اقترح أبو
 جهل أن يخرجوا من كل قبيلة شابا قويا ذا شرف في أهله ، ويسلحون كل
 واحد منهم بسيف حاد ، فيخرجوا إلى النبي ويضربوه بسيوفهم ضربة
 رجل واحد ، وعندما يقتل يفرق دمه بين القبائل ، وبهذا لا يستطيع بنو
 عبد مناف الاقتصاص من أحد ، وأيدت قريش هذا الرأي واستراحت له
 ووافقت عليه ، وعلى الفور وصل الخبر إلى النبي وأمره الله بعدم المبيت
 في منزله في هذه الليلة كما أمره بالهجرة ، وأنزل الله عليه : " وإذ يمكر
 بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله
 والله خير الماكرين " .

وأمر الرسول عليه السلام علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه ،
 حتى ترى قريش أن الرسول عليه السلام ما زال بمكة ، وبالتالي يرد
 علي بن أبي طالب في الصباح الودائع التي كانت عند الرسول لأصحابها

، ثم خرج النبي عليه السلام دون أن يبصروه ، إذ أخذ حفنة من التراب بيده ونثرها على رؤوسهم وهو يقرأ قول الله تعالى : " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون " وخرج من بيته دون أن يراه أحد ، وصاحبه أبو بكر الصديق الذي أعد راحلتين للرحلة إلى يثرب ، وركبا الراحلتين حتى أتيا غار ثور فدخلا فيه ، ومكث في الغار ثلاثة أيام ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي إليهما كل مساء بالطعام والشراب ، وعبد الله بن أبي بكر يأتي إليهما كل مساء بالأخبار وما تريد قريش أن تفعل .

وفي الصباح استيقظ الفتية فوجدوا علي بن أبي طالب نائما في فراش النبي ، فبادروا إلى مطاردته عبر طريق يثرب ، حتى وصلوا إلى باب غار ثور ، فوجدوا أن العنكبوت قد أفرد خيوطه ، فأدركوا أن النبي وصحبه لم يدخلا ، وقال أبو بكر الصديق للنبي عليه السلام : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا " فقال له النبي : " ما ظنك باتنين الله ثالثهما " وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في سورة التوبة بقول الله عز وجل : " إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم " .

وبعد مرور ثلاث ليال بالغار ، ارتحل النبي وأبو بكر في اليوم الرابع من ربيع الأول بعد أن استأجر دليلاً يسمى عبد الله بن أريقط ، وصاحبهما أيضاً عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق إلى يثرب ، وعندما وصل النبي عليه السلام إلى يثرب ، سارع الأنصار للقائد ومعهم المهاجرين ، وكان استقبالا تاريخيا حافلا من أهل يثرب وأبنائها وأطفالها كتبت عنه المصادر كثيرا ، وعندما بلغ ضاحية قباء - إحدى ضواحي يثرب - نزل النبي على بني عمرو بن عوف ، وأقام عندهم أربع ليال ، وأسس عندهم مسجدا عرف بمسجد قباء ، ثم ركب راحته وفي طريقه صلى أول جمعة في الإسلام عند بني سالم على مشارف يثرب ، ثم ركب راحته ودخل يثرب وسط ترحاب رائع ، وكلم مر على دار من دور الأنصار يدعونه للمقام عندهم ، ويريدون استضافته واعتراض ناقته ، فكان يقول لهم : اتركوها فإنها مأمورة ، حتى وقفت وبركت وحدها في مريد لغلामين يقال لهما سهل وسهيل من بني النجار ، فاشتري منهما أرض المريد بعشرة دنانير ، وأقام في دار أبي أيوب الأنصاري ضيفا لمدة سبعة أشهر ، حتى فرغ المسلمون من بناء دور النبي عليه السلام ومسجده ، ومنذ هجرة النبي إلى يثرب ، فقد أطلق عليها المدينة ، والعام الذي هاجر فيه هو أول التاريخ الهجري .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

دور الرسول ﷺ وسياسته في المدينة

دور الرسول ﷺ وسياسته في المدينة :-

- سياسة النبي بالمدينة .
- الصراع بين مكة والمدينة .
- دخول عرب الحجاز في الإسلام .
- الدعوة خارج بلاد الحجاز .
- توحيد الجزيرة العربية تحت ظل الرسول ﷺ .

دولة المدينة ووحدة المسلمين:

أصبح النبي عليه السلام بالمدينة المنورة ، ووقع على عاتقه رئاسة وتنظيم أحزاب غير متجانسة ، وأصبح في وضع غير الذي كان فيه بالأمس ، فكانت أولى خطواته توحيد هذه الفئات المختلفة والمتعارضة في حياتها ولكنها متحدة في الدين الإسلامي ، ولذلك ربط بين المهاجرين والأنصار برباط عظيم من أعظم الأمور التي أتى بها النبي عليه السلام ألا وهو رباط المؤاخاة بين أهالي المدينة ، ثم اتخذ المسجد مركزا ومقرا لحكمه الجديد ، ثم وضع دستورا لدولته وأسس اتفاق عليها لمسيرة أهل المدينة وهي الصحيفة ، ووضع أسس الحياة

الاجتماعية بالمدينة ، وعندما استتب له الأمر ، ولم تقف قريش مكتوفة الأيدي من عدائها للرسول فاستمرت في عدائها ولذلك شرع الله الجهاد للمسلمين ، وبذلك صار المسلمون الند بالند لقريش ، وأضحت المدينة تقابل مكة ، بل أصبحت المدينة بها أركان الدولة المنظمة على الشريعة الإسلامية تحت رئاسة النبي عليه السلام .

١- بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة :

اشترى محمد صلى الله عليه وسلم أرض المربد من صاحبيه سهل وسهيل كما وضحنا بالصفحات السابقة ، حتى أسرع ببناء المسجد عليها ، لأن المسجد قام بأعظم الأدوار في المدينة فهو مكان للعبادة والمقر الجديد لرئاسة النبي وفيه عقدت المعاهدات ودرست الأحوال ، وفيه كان مجلس المسلمين للتشاور في أمور الحرب والسلام ، واستقبال الوفود من خارج المدينة ، واتخذ هذا المربد أسعد بن زرارة مسجدا يصلي فيه بأصحابه ويقوم فيه صلاة الجمعة قبل قدوم الرسول إلى المدينة ، وكان عبارة عن جدران ولا يوجد عليه سقف ، وقبلته نحو بيت المقدس ، وأمر الرسول عليه السلام بإصلاحه وتسويته وقطع النخل الذي كان به ، وبناء بالطوب اللبن وأسس بالحجر ، وكان على شكل مربع ، وطول الجانب منه مائة ذراع ، وشارك الرسول أصحابه في أعمال البناء والتشييد .

واهتم الرسول عليه السلام بعمارة المسجد ، فبنى له مظلة لتقي المسلمين من حرارة الشمس ، ثم بنى بجوار المسجد بيوتا من اللبن

سقت أيضا بجذوع النخل والجريد ، وأنشأ منزلاً لعائشة زوجته وفتح بابها على المسجد ، وكان للمسجد ثلاثة أبواب ، وكانت القبلة تواجه بيت المقدس ، بعد أن كان المسلمون يولون وجوههم في أية جهة على حسب حريتهم ، لأن القبلة لم تكن حددت في ذلك الوقت ، وحدث اتساع للمسجد بعد موت النبي عليه السلام ، حيث ضمت بيوت أزواج النبي والتي كان عددها تسعة بيوت مبنية بالطوب اللبن ، وأضيفت كلها للمسجد بعد موت أزواج النبي عليه السلام ، وظل المسلمون يولون وجوههم في الصلاة صوب المسجد الأقصى ، وذلك مدة سبعة عشر شهراً ، ثم حولت القبلة إلى الكعبة في السنة الثانية للهجرة ، ونزلت الآية الكريمة : " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وكان النبي يخطب واقفا مستندا إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي ، ثم بنى منبراً من درجتين ومقعد ، وكان بلال بن رباح يؤذن على منارة في دار زوج النبي حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزاد الرسول عليه السلام في سعة هذا المسجد بعد مضي سبع سنين من الهجرة ، بسبب كثرة عدد المسلمين والمصلين بالمسجد ، وحدد سقف المسجد ، وزاد فيه عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ ، ثم زاد في اتساعه عثمان بن عفان سنة ٢٩هـ ، وجعل الأعمدة من حجارة منقوشة وسقفه بالسياج ، واتخذ فيه مروان بن الحكم مقصورة من الحجر المنقوش ، واتسع في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) ولم يزد فيه أحد من

الخلفاء إلا في خلافة المهدي العباسي سنة ١٦٢ هـ ، ثم رم في زمن المتوكل على الله العباسي سنة ٢٤٧ هـ ، ولكن المسجد بعد ذلك أصبح موضع عناية حكام المسلمين على مدى التاريخ وإلى يومنا هذا .

وأصبح مسجد المدينة المثل الذي احتذت به مساجد الإسلام على مر العصور المتتالية ، وبالتالي كان تخطيطه أساسا لسائر العمائر الإسلامية مثل المدارس والخوانق والقصور والوكالات والفنادق ، كما أصبح المسجد أساس التنظيم العمراني في المدينة الإسلامية والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية ، والقلب الذي ينبض به الحياة ، ويضيف الدكتور السيد عبد العزيز سالم : بأن المسجد هو الذي يهب المدينة النشاط والحركة وهو الذي يطبعها بطابع المدينة الإسلامية باعتباره المركز الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي للمدينة .

وعندما تأتي الوفود إلى المدينة لمقابلة النبي عليه السلام ، كانوا يربطون رواحلهم في فناء المسجد ، ويجلسون مع النبي في سقيفة المسجد ، وعقدت فيه أولية الحرب ، وقام أصحاب النبي بتعليم الناس القرآن والسنة لأهل المدينة أو القادمين من خارجها ، وكان يبىء فيه القادمون من خارج المدينة ، ومكان إقامة لأهل الصفة ، بالإضافة إلى أنه مركزا اجتماعيا لأنه شيد في وسط المدينة وفي مكان مزدحم بالسكان ، وكان النبي عليه السلام يجلس فيه ومن حوله الصحابة بين أوقات الصلوات الخمس ، وكان الصحابة يلاقون الأشعار ويتحادثون في

مختلف الأمور الدينية والدينيوية ، وما أنزل الله فيها من آيات مباركات ، وكانوا يقارنون طهارة الإسلام وأوضاع الجاهلية الداعية للتعجب .

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

عندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة تركوا كل متاعهم واثرواتهم إضرارا وفرارا بدينهم وأنفسهم هربا من إيذاء قريش والذي بلغ ذروته وقت الهجرة ، ولذلك كانوا لا يملكون من حطام الدنيا شيئا ، وقد عقد الرسول بين فئات المسلمين إخوة ، وكان علي بن أبي طالب أخا للرسول عليه السلام ، وأخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد بن أبي زهير ، وبين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل ، فربط الرسول بين المهاجرين والأنصار برباط الأخوة ، وأصبحت كل أسرة مرتبطة بأسر كثيرة بفضل الإخاء ، وكان الإخاء في النسب والميراث ، حتى نزلت الآية الكريمة في سورة الأنفال : " والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ، فأولئك منكم وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شئ عليم " وذلك عندما انتصر المسلمون في بدر وتحسنت أحوالهم .

وتحسنت أحوال المهاجرين بعدما اشتهروا في أعمال التجارة بالمدينة ، ومنحهم الأنصار الأموال ، وأشركوهم في زراعة الأرض ، كما كان لفرض الزكاة أثرا في تقدم معيشة المسلمين ، وحل مبدأ المؤاخاة محل الحلف والوحدة القبلية التي كانتا سائدتين عند العرب قبل الإسلام ،

وعمل الرسول عليه السلام بهذا المبدأ قبل الهجرة فأخى بين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وغيرهم ، وذكر أن المؤاخاة تمت على ثلاث مراحل ، فالأولى كانت بين الأنصار وبعضهم بعضاً أي بين الأوس والخزرج ، والمرحلة الثانية بين المهاجرين وبعضهم البعض ، أما المرحلة الثالثة فكانت بين المهاجرين والأنصار ، وبهذا أصبح المسلمون أخوة في الله ، وأصبحوا قوة كبيرة وثيقة الصلة ببعضها الأمر الذي جعل قريش تضع في حساباتها قوة المسلمين الخطيرة .

٣- الصحيفة (الكتاب) :

وهو كتاب حدد فيه النبي صلى الله عليه وسلم نظام الحياة العامة بالمدينة ، وحدد المعاملة بين المهاجرين والأنصار ، ثم حدد المعاملة مع اليهود بشروط ومعاهدة معهم ، فهي وثيقة هامة نظمت العلاقات وحققت الوحدة بين أهالي المدينة جميعاً ، وتضمن هذا الكتاب المبادئ الآتية : مساواة كافة المسلمين في الحقوق والواجبات على اختلاف قبائلهم وشعوبهم وأنهم أمة واحدة من دون الناس ، وأوجب التعاون والتضامن بينهم ، والأخذ بيد الضعيف والفقير والمحتاج ، وفتح الطريق لليهود في الدخول في الإسلام ومن يدخل منهم له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات مثل أي مسلم تماماً ، وسمح الرسول عليه السلام بحرية الديانة لليهود ، كل ما يطرأ من خصومات أو مشاكل فإنه يرجع إلى حكم الله

وإلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وحددت الصحيفة التعامل مع قريش ، على أنها لا تجار ولا تتصف هي وأحلافها ، ووجب قتالها إذا داهمت المدينة ، ووضحت طرق الحرب ضد أعداء المدينة بأن كل فئة تنفق على نفسها ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، ويقاتلون جنباً إلى جنب مع المسلمين للدفاع عن المدينة في حالة الهجوم عليها من الخارج ، وقرر الكتاب حرمة المدينة مثل مكة تماماً .

٤- الجهاد :

استمر الرسول عليه السلام يؤثر السلم على الحرب طوال إقامته بمكة ، حتى أنه أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ومنهم من كان قادر على استعمال السلاح ومجابهة قريش ولكن لم يكن قد جاءه الأمر من الله بعد ، حتى بعد أن هاجر إلى يثرب أثر السلم على الحرب ، وأنكر العنف وإراقة الدماء ، ولكن كانت قريش تضر في نفسها القضاء على المسلمين بالمدينة المنورة ، ولذلك فرض الله على المسلمين الجهاد في السنة الثانية للهجرة ، فنزلت الآية الكريمة : " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنم يقولوا ربنا الله " وقد أحل الله القتال للدفاع ضد الظالمين وضد قريش الذين أخرجوا المسلمين واستولوا على أموالهم وديارهم ومتاعهم بسبب الإيمان بالله العزيز الحكيم .

ونزلت آيات كثيرة تحث المسلمين على القتال حتى لا تكون فتنة بين المسلمين وإحباط كيد الكفار ، وتأمين حدود المدينة ضد القبائل العربية الوثنية وضد قريش ، والدفاع عن النفس ، وجاء قول الله تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون " ولذلك أعد النبي عليه السلام عدة القوة للدفاع والقصاص من قريش التي طردت المسلمين بغير حق ، وبدأت الحملات الإستطلاعية للقوة الإسلامية والتي تمثلت في إرسال سرايا والتي قام بها المهاجرون دون الأنصار ، وفي الوقت نفسه أثبتوا لقريش أنهم قادرون على القتال ومجابهة الظلم بالدفاع واستعمال السلاح .

سياسة الرسول الخارجية :

أولاً : الصراع بين مكة والمدينة :

ونقصد الجهاد ضد قريش التي احتفظت بالوثنية وأعلنت عدائها للمسلمين ، وأصبح مجتمع المدينة من المهاجرين والأنصار معا تحت زعامة النبي عليه السلام ، ولما كانت قريش هي البادئة بمناهضة المسلمين ، ولذلك بدأ المسلمون يتأهبون لأية فرصة لكسر شوكة قريش والقضاء على الوثنية بها ، وحتى تكون مكة مركزاً دينياً للإسلام ، وبالتالي أيقن الرسول عليه السلام أن قريش لن تتركه يتقوى لكي يتغلب عليها ، ولذلك نصت الصحيفة على عدم إجارة قريش ونصرتها ، ولذلك

كان يبعث بالسرايا لتعرض طريق القوافل التجارية القريشية أثناء ذهابها وإيابها إلى بلاد الشام ، وبالتالي يثبت لقریش أن المسلمين أقوىاء ، ووجه الرسول جهوده أيضا إلى استمالة القبائل العربية المقيمة بين مكة والمدينة ، فارتبط بعدد كثير من هذه القبائل عن طريق الحلف ، وكان له أنصار داخل هذه القبائل ، الأمر الذي أفزع قریش وأفلقها ، ورأى الرسول عليه السلام أن يبعث بالسرايا لعمل مظاهرة بالقوة الإسلامية ومضايقة قریش عندما عرفت أن هذه القوة الإسلامية تستطيع أن تضرب طرق تجارتها ، وبلغ عدد هذه السرايا نحو ٤٧ سرية ، وقيل ٤٣ سرية ، وأول هذه السرايا عقدها النبي عليه السلام لعمه حمزة بن عبد المطلب ، وقيل إن أول سرية كان على لوائها عبيدة بن الحارث ، وكانت مكونة من ثمانين مهاجرا ، ولم يحدث قتال فيها ، ثم بعث الرسول عليه السلام حمزة في ثلاثين رجلا إلى سيف البحر ، فلقى أبا جهل بن هشام بساحل سيف البحر ، وكان أبو جهل يقود قافلة تجارية لقریش ، وكاد الفريقان أن يتقاتلا لولا وساطة مجدي بن عمرو الجهني الذي حجز بين الفريقين وكل فريق ذهب في طريقه ، وهناك اصطدم بين عبيدة بن الحارث وأبي سفيان بن حرب بالقرب من دابغ ، ولم يحدث قتال سوى سهم رمى به سعد بن أبي وقاص ، فكان سعد له الفضل في أنه أول من رمى سهم في الإسلام ، ثم سرية ثالثة على رأسها سعد بن أبي وقاص أيضا ولم يحدث فيها قتال .

أما عن غزوات الرسول عليه السلام الذي غزاها بنفسه فخرج بغزوة إلى الأبواء ، وفيها وادع بني ضمرة وحدث صلح واتفاق بينهما ، ثم غزا بواط يقصد قطع الطريق على قريش ولم يحدث قتال ، ثم غزا بدر الأولى ثم غزوة ذي العشير بالقرب من ينبع ولم يحدث قتال أيضا ، وأهم هذه السرايا كلها سرية عبد الله بن جحش وهي تعرف باسم (سرية نخلة) وكانت في شهر رجب سنة ٢ هـ ، واعترض قافلة لقريش وقام أصحابه بقتل عمرو بن الحضرمي من زعماء قافلة قريش ، وأسروا اثنين آخرين ، وتمكن الباقيون من الإفلات والوصول إلى مكة ، وعندما رجع عبد الله بن جحش إلى المدينة ، رفض النبي عليه السلام ما ارتكبه لأنه لأن شهر رجب من الأشهر الحرم ، وبالتالي لم يأمرهم بالقتال ، ولذلك أنزل الله تعالى على الرسول : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله من أكبر عند الله والفتنة أشد من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا " وبذلك انتهت هذه القضية ، وصفح الرسول عليه السلام عن عبد الله بن جحش وأصحابه ، ووافق على فدية الأسيرين وأرجعهما إلى قريش .

١- غزوة بدر سنة ٢ هـ :

أرسل الرسول عليه السلام بعضا من رجاله للوقوف على أخبار قافلة قادمة من الشام إلى مكة ، وكان أبو سفيان بن حرب هو سيد القافلة

، وعندما علم بأمر المسلمين ، غير طريقه واستطاع أن يصل مكة وأفلت من المسلمين ، وكانت هذه القافلة تحمل بضائع تقدر بحوالي خمسين ألف دينار ، وقبل وصول أبي سفيان كانت قريش قد علمت بالأمر ، فخرجوا من مكة لنجدة أبي سفيان ، حتى أنهم صمموا على القتال بالرغم من علمهم بوصول القافلة سالمة ، ووصل المسلمون ماء بدر ، وعسكروا في الجهة الشرقية منها ، أما كفار قريش فعسكروا في التلال الغربية من بدر ، وفي صباح اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ٢هـ ، دارت المعركة بين الفريقين ، وانتهت بانتصار المسلمين على قريش ، وأسر المسلمون منهم سبعين رجلا ، وقتل منهم سبعون رجلا ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا منهم ست من المهاجرين وثمانية رجال من أهل المدينة ، وقتل اثنان من الأسرى المشركين ، والبعض أخذت منه الفدية ، والبعض الآخر من عليه الرسول السلام وأطلقه ، وبعض الكفار قام بتعليم عشرة من أولاد الأنصار ثم أطلق سراحه ، وبعد هذه الواقعة مباشرة علا شأن المسلمين وارتقى شأن الإسلام وسارع كثير من الناس ودخلوا الإسلام ، وضعفت شوكة الكفار واليهود واكتسب المسلمون خبرة وتجربة في القتال ونظام الحرب وتفريق الغنائم والمكاسب الحربية والتعامل بشأن الأسرى ، وأيضا بلغ الغضب والمطالبة بالثأر لقريش ذروته ، فأعدت قريش العدة من الرجال والعتاد ومحالفة القبائل المجاورة لمكة ، واذكتها للحرب ضد محمد عليه السلام وأصبحت مواجهاة

حربية دموية منظمة بين مدينتين مكة والمدينة ، والكفار والمسلمين ، أضف إلى ذلك شعور قريش بالمهانة العظمى وقتل زعمائها وعلى رأسهم أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن أبي ربيعة وحنظلة بن أبي سفيان ، والنضر بن الحارث ، وأميرة بن خلف وغيرهم ، وبدأت قبائل العرب بالحجاز تشعر بقوة الإسلام وزيادته المطردة ، فآلت قريش على الانتقام وأخذ الثأر ومحو العار .

٣- غزوة أحد ٣هـ :

وسميت هذه الغزوة باسم أحد نسبة لأحد الجبال شمال المدينة ، وكانت في منتصف شعبان سنة ٣هـ ، واستعدت قريش لقتال المسلمين بعد هزيمة بدر مباشرة ، ولذلك خصصوا أموال القافلة التي كان أبو سفيان بن حرب على رأسها والتي كانت سببا في هذه الحرب للاستعداد والتجهيز لقتال المسلمين بالمدينة ، واستعانت قريش بحلفائها من القبائل العربية لحرب محمد عليه السلام ، فاشتركت معها ثقيف وقبائل تهامة وكنانة والأحبابيش وجميع من حالفها من القبائل العربية وتزعم هذه المعركة أبو سفيان بن حرب ، وقاد الكفار فوصل المدينة سنة ٣هـ ، وصاحبت قريش نسائها وهن يضربن بالدفوف لإثارة حمية رجالهن ، ودارت المعركة ، وتغلب المسلمون في أول الأمر ، وقد ترك الرماة المسلمون أماكنهم من أعلى الجبل ونزلوا يجمعون الغنائم ، وإذا بالكفار يعاودون الهجوم وتغلبوا على المسلمين ، وكاد الرسول عليه السلام أن

يهلك في هذه المعركة لولا أن حفظه الله عز وجل ، وانتهت المعركة بانتصار قريش وأخذت بثأرها من المسلمين ، واستشهد في هذه المعركة الصحابي مصعب بن عمير وهو يدافع عن الرسول ، وحمزة بن عبد المطلب ثم مثلت به هند بنت عتبة ومضغت كبده ثأرا لمقتل أخيها ، وعبد الله بن جحش ، ومثلت قريش بمعظم قتلى المسلمين ، وذهب الكفار نحو مكة وجمع الرسول فلول المسلمين وعسكر حول المدينة ، وإن كان أصيب في وجهه وأسنانه أثناء المعركة ، وبعث الرسول عليه السلام علي بن أبي طالب في أثر الكفار حتى تأكد أنهم قافلون إلى مكة ، لربما يقصدون المدينة فيسرع الرسول لمهاجمتهم والدفاع عنها .

٣- غزوة الخندق سنة ٥هـ :

وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة من الهجرة ، وكانت حول المدينة ، ونسبت إلى الخندق الذي حفره الرسول عليه السلام وأصحابه حول المدينة ، وعرفت بغزوة الأحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية واليهودية إلى قريش لمحاربة المسلمين ، ومناصرة بنو النضير وبنو قينقاع الذين أجلاهم الرسول عليه السلام من المدينة لعدم إخلاصهم للعهد مع النبي ، فنزحوا إلى خيبر حيث أقاموا مع قومهم ، فسار بعضهم إلى مكة وكان زعيمهم حبي بن أخطب النضري الذي أعطى الأموال لقريش بالإضافة إلى إثارتهم وتشجيعه لقبائل غطفان بالانضمام إلى قريش

لمقاتلة المسلمين بالمدينة ، وعودهم بمنحهم غلة خبير خلال عام ، إذا ما انضموا إليهم في قتال محمد عليه السلام .

وجاءت قريش وأحلافها ، وزادت أحزابها فانضم إليها قبيلة فزارة وأشجع وميرة وبنو قريظة وكثير من العرب ، وزحفت حتى أحاطت بالمدينة وكان عدد مقاتليها حوالي عشرة آلاف رجل وواجههم النبي في تسعمائة من رجاله ووضع النساء والذراري في الآطام (المساكن التي تشبه الحصون) واتخذ المسلمون الوضع الدفاعي في هذه المعركة ، وأشار سلمان الفارسي على الرسول بحفر الخندق في شمال المدينة ويلتف حولها من ناحية الغرب ، ووقف المسلمون يحمون المدينة من باقي جوانبها ، وعندما واجه الفريقان بعضهما متقابلين وتراميا بالنبال والسهام أياما دون نتيجة ، وقيل إن جيش المسلمين وصل عدده حوالي ثلاثة آلاف رجل ، وحدثت مبارزات بالخندق على إثرها قام علي بن أبي طالب بقتل عمرو بن ود ، وخاف باقي أفراد قريش ورجعوا من حيث أتوا إلى ضفة الخندق المعسكرة فيها قريش ، واستمال أبو سفيان بن حرب بنو قريظة وأرسل لهم حبي بن أخطب النضري ، الذي دخل إلى بنو قريظة وأقنع زعيمها كعب بن أسد سيد بنو قريظة بالانضمام إلى قريش ، وبذلك نقض بنو قريظة حلفهم مع النبي ، ولذلك أرسل الرسول إلى بنو قريظة سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج ليتأكد من صحة هذا الخبر ، ولما تأكدوا من ذلك أمر الرسول المسلمين

بحماية المدينة وركز الدفاع نحو بني قريظة خوفا من هجومها على المدينة .

وفي هذه الأثناء دخل الإسلام زعيم قبيلة غطفان نعيم بن مسعود ، وقد خرج من قومه ودخل المدينة ليلا وأعلن إسلامه ، وذهب إلى يهود بنو قريظة وأعلمهم ألا يدخلوا الحرب مع قريش وغطفان إلا إذا حصلوا على رهائن ، ثم تركهم وذهب إلى أبي سفيان بن حرب وغطفان وأخبر كل منهما بأن اليهود ندموا على انضمامهم لهما ، وأنهم اتفقا مع محمد سرا بأنهم سوف يسلمون سبعين رجلا من قريش وغطفان ليقتلهم في نظير أن يعيد لبني النضير ديارهم بالمدينة ، وأشار عليهم بأن لا يعطوا بني قريظة الرهائن ، وعندما أرسل أبو سفيان إلى يهود بني قريظة بأنهم سوف يحاربون محمدا في الغد ، رفضوا وطلبوا الرهائن ، ولذلك يئس أبو سفيان وبنو غطفان من مساعدة بني قريظة وخاف كل منهم من الآخر ، وفي تلك اللحظات أرسل الله ريحا شديدة على الأحزاب وكانت ليلة شاتية باردة ، فهلع الأحزاب وفروا هاربين إلى مكة ، دون أن يلوم أحدهم الآخر .

بعد أن عرف الرسول عليه السلام رحيل قريش إلى مكة ، أمر المسلمين بالذهاب إلى منازلهم وإنهاء حالة الحرب ، ورجعوا مسرورين إلى ديارهم بعد مواجهة مستمرة مع رجال قريش وغطفان وأحلافهما إلى ما يقرب من شهر ، واتضح لدى قريش أن المدينة محصنة ، وأن

المسلمين مصممين على الدفاع عنها ثم الجهاد ضد قريش وبذل الأنفس والأرواح في سبيل ذلك ، وقال الرسول في هذه المناسبة : " اليوم نغزوهم ولا يغزوننا " وذلك استعدادا لكثرة أخرى ، كما ظهر لقريش والقبائل العربية خلال وبعد هذه الواقعة أن الرسول عليه السلام جاد في دعوته ، وأن الإسلام دين حق ، ولا يهمل الرسول والمسلمون استشهاد رجالهم العظماء ، بل كانوا يتمنون الموت في كل لحظة في سبيل الإسلام

٤- موقف الرسول عليه السلام من يهود المدينة :

عندما اهتدى الأوس والخزرج بنور الإسلام ودخلوا الإسلام بكل نفس مطمئنة ، ولم يدخل اليهود في الإسلام على الرغم من أنهم كانوا يعلمون بأنه سوف يأتي نبي مرسل وكانوا يهددون أبناء مدينتهم يثرب ويتوعدونهم به وأنهم سوف يؤمنون به وعندئذ سوف يقضون عليهم ، فلم يؤمنوا به عندما جاء لهم في المدينة ، وآمن منهم عدد ضئيل مثل : عبد الله بن سلام بن الحارس ، وعلى الرغم من ذلك أحسن المسلمون معاملتهم لهم ، وتركوا لهم حرية العبادة ، وعاهدوهم على حماية المدينة إذا هاجمهم أي عدو من الخارج ، ولكنهم راحوا يحقدون على الإسلام ويشككون في رسالة محمد عليه السلام ، بل وصل بهم الأمر بالتحالف مع قريش للقضاء عليه وعلى المسلمين ، ولذلك واصل المسلمون كفاحهم ضد اليهود أيضا .

فوجد أن يهود بنو قينقاع وهم أقوى اليهود بالمدينة ودخلوا في المعاهدة مع النبي عليه الصلاة والسلام ، فهم أول من نقض هذه المعاهدة بعد معركة بدر سنة ٢ هـ ، وقللوا من شأن انتصار المسلمين على الكفار وحدث في هذا العام أن ذهبت امرأة من الأنصار إلى سوق الصاغة بالمدينة وكان معظم تجار هذا السوق من يهود بني قينقاع ، فقام أحد اليهود وتسلل خلف المرأة وهي جالسة ، وعقد طرف ثوبها بظهرها ، فلما وقفت المرأى وتعرى جسدها من ظهرها ، فصرخت فقام أحد رجال المسلمين بقتل اليهودي ، ولكن اليهود بالسوق كانوا أغلبية فقتلوا هذا الرجل المسلم ، وأعلنوا نقضهم لعهد المسلمين ، وأعلنوا الحرب عليهم ، وقاموا بالاستهتار بشأن المسلمين ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك جمع الرسول رجاله وحاصرهم في دورهم ، وتشفع لهم عند الرسول عبد الله بن أبي فوافقه الرسول عليه السلام ، واكتفى بإخراجهم من المدينة ونزحوا إلى منطقة أذرعات بالشام بدون عودة .

أما عن يهود بني النضير فكانوا على معاهدة مع النبي عليه السلام ، وكان النبي يعاملهم بالحسنى والموعظة الحسنة ، فلما ذهب إليهم ليشرکہم في دفع ديات بعض القتلى التي وقعت على كاهل المسلمين ، وجلس عندهم بجوار جدار فأرادوا رمي حجرا عليه من أعلى الجدار الذي يجلس بجواره وكان معه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق ، فأعلمه الله بمؤامرة بني النضير ، فانسحب هو

وأصحابه في هدوء ، ولما أبلغ المسلمين بهذه المؤامرة اجتمعوا على قتالهم فحاصروهم سنة ٤ هـ ، وحدث تفاوض على أن يخرجوا من المدينة ونزح جزء منهم إلى الشام ، أما الجزء الآخر فنزح إلى خيبر ، وكان منهم حيي بن أخطب وآخرين من يهود بني النضير .

في خلال العام الخامس من الهجرة في خلال غزوة الخندق ، اتصل حيي بن أخطب بسيد بني قريظة وهو كعب بن أسد ، ودعاه إلى نقض عهد المسلمين ، والانضمام إلى الأحزاب وخيانة محمد عليه السلام فوافق كعب ابن أسد على هذه المؤامرة ، ولكن الرسول عليه السلام استغل نعيم بن مسعود الذي قام بخداعه وأوقع الفتنة بين بني قريظة والأحزاب ، واستطاع أن يرد كيدهم بالخديعة والمكر ، وعند الانتهاء من معركة الخندق وفرار الكفار إلى مكة ، قام النبي عليه السلام ومعه المسلمون ، وحاصروا بني قريظة إلى ما يقرب من شهر كامل ، ولكنهم حكموا سعد بن معاذ في الفصل بينهم وبين المسلمين .

ولما فصل يعد بن معاذ في هذه القضية وضع أمام عينيه خيانتهم وانضمامهم إلى الأحزاب ، وكان قد ذهب إليهم ليقنعهم بعدم الانضمام إلى الكفار فلم يستجيبوا له ، ورأى خطرهم إن تركهم ينزحون من المدينة مثل بني النضير قبلهم ، ولذلك حكم على الخونة منهم بالقتل ، مع سبي النساء والزراري ، وعلى الرغم من ذلك وقبل تنفيذ هذا الحكم عرض

عليهم رسول الله الدخول في الإسلام فرفضوا ، وبعد ذلك تم تنفيذ حكم وقضاء سعد بن معاذ فيهم .

بعد أن عقد الرسول عليه السلام مع قريش صلح الحديبية ، قد العزم على قتال يهود خيبر سنة ٧هـ لأنهم كانوا يكرهون المسلمين ويتحذرون الفرصة لإثارة الأخطار والهجوم على المدينة مثلهم مثل بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ، ثم جمع المجاهدين وقصد بهم خيبر وكان عدد المسلمين ألف وأربعمائة رجل ، وكان يهود خيبر على درجة كبيرة من القوة والعتاد ، فدخل الرسول عليه السلام والمسلمين حصونهم ليلا ، وفي الصباح دار القتال بين الفريقين ، واستولى المسلمون على معظم حصونهم ، ولكن عقد صلح بين المسلمين واليهود ، واتفق على الحصون التي فتحها المسلمون عنوة تكون لهم ، أما الذي دخل في الصلح فلهم أن يزرعوا الأرض مناصفة ، النصف لهم والنصف للمسلمين ، وبذلك أصبح للمسلمين أراضي خارج المدينة يحصلون عنها الخراج ، وبالتالي أصبحت دولة الرسول بالمدينة بها جماعة من اليهود ، حافظ المسلمون على حريتهم الدينية وعاشوا في سلام ، ودخل يهود فدك صلحا مع النبي عليه السلام ، وتعهدوا بدفع نصف غلتهم مثلهم مثل خيبر ، وخلت الجزيرة العربية من اليهود وذلك عندما أجلاهم عمر بن الخطاب عن جزيرة العرب واشترى أرضهم وعاملهم بسلام ، وأخرجهم عندما علم

أنهم ما زالوا على الغباء والحنق ضد المسلمين ، وتركوا جزيرة العرب
ونزحوا عنها

٥- صلح الحديبية :

وكان في العام السادس من الهجرة النبوية إلى المدينة ، حيث أراد
النبي عليه السلام وأصحابه أداء العمرة وزيارة الكعبة ، وبالتالي شوقهم
إلى زيارة مكة بلدهم الأول ومسقط رؤوسهم ، ولذلك قرر النبي أداء
العمرة ، وخرج مرتديا ملابس الإحرام ومعه الهدى إلى الكعبة ، وخرج
في شهر ذي القعدة وكان عدد المسلمين نحو ألف رجل ، وصحب عدد
من المسلمين العرب في رحلتهم إلى مكة ، وكان مقصد النبي عليه السلام
هو العمرة فقط وليس قتال قريش ، ولكن لم تطمئن قريش لقدم النبي
وجمعت الجموع وخرجت لقتال النبي ، ولكن النبي تحاشى طريقهم ،
حتى أخذ طريق الحديبية وعسكر فيها هو وأصحابه للراحة ، وبدأت
قريش ترسل رسلا للتأكد من مقصد النبي فأرسلت كل من : بديل بن
ورقاء الذي رجع لهم وبين لهم أن النبي جاء للعمرة فقط ، ثم أرسلوا
الحلب بن علقمة سيد الأحابيش ثم عروة بن مسعود الثقفي ، وأقروا
لقريش بأن النبي جاء للعمرة ولكنهم لم يصدقوا ولم يسمحوا له بالعمرة ،
فأرسل الرسول عليه السلام عثمان بن عفان لكي يفاوض قريش على
أداء المسلمين للعمرة ، وعندما دخل مكة وقابله أبان بن سعيد الذي أدخله
في جواره خوفا عليه من عدوان قريش ، وتقابل مع زعماء قريش

وأظهر لهم رغبة النبي والمسلمين في أداء العمرة ، ورفضت قريش ، ومكث عثمان ثلاثة أيام الأمر الذي دعى المسلمين للقلق ، وقاموا بمبايعة النبي عليه السلام على قتال قريش حتى الموت في حالة إن قتل عثمان بن عفان بمكة ، وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان التي تمت تحت الشجرة ، وأنزل الله قوله : " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، وأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً " ولكن عثمان رجع إلى النبي عليه السلام ، وأظهر له رغبة قريش وخوفها من المسلمين ، وفي هذه الأثناء أرسلت قريش وفدا منهم على رأسه سهيل بن عمرو للتفاوض مع محمد عليه السلام في الحديبية ، وتم الاتفاق بين النبي وقريش على الشروط الآتية :

١- أن يرجع محمد وأصحابه هذا العام إلى المدينة ، ويأتي للعمرة العام القادم وليس معه ولا أصحابه سلاح إلا السيوف فقط ، وتكون مدة إقامته في مكة ثلاثة أيام .

٢- يكون بين الطرفين هدنة عشر سنوات يتداخل فيها القوم ويأمن كل جانب الجانب الآخر .

٣- يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلماً بدون إذن وليه .

٤- لا ترد قريش من يأتي إليها من المسلمين .

٥- من أراد أن يدخل في عهد قريش له ذلك ، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش له ذلك . وكانت هذه المعاهدة بمثابة إعلان

للمفاوضات والطرق السلمية بين الرسول وقريش ، على أن المسلمين لم يوافقوا عليها واعتبروها منصفة لقريش أكثر منهم ، ولكن النبي أدرك أنها الفتح العظيم للمسلمين ، ولذلك رفض معظم القرشيين هذه المعاهدة واعتبروها لصالح النبي عليه السلام ، وأن هذه الشروط أظهرت اعتراف قريش بوجود المسلمين ومكانتهم وأنهم الند بالند لقريش ، كما سارع العرب إلى الدخول في الإسلام بأعداد غفيرة ولم يسبق لها مثيل قبل إبرام هذا الصلح ، وعلى الرغم من شروط الصلح القاسية إلا أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة خرجوا من مكة وذهبوا إلى المدينة وأعلنوا إسلامهم أمام النبي .

وبعد صلح الحديبية استطاع النبي عليه السلام أن يقضي على خيانة اليهود في خيبر وفدك سنة ٧هـ ، وفي نفس العام ذهب الرسول والمسلمون إلى مكة ودخلوها هاتفين لا إله إلا الله وحده نصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، وشاهد القرشيون هذا الهتاف وهم في أعالي شعاب مكة فاهتزت قلوبهم نحو هذا القول وحول مظاهرة المسلمين القوية داخل مكة ، ورجع النبي والمسلمون إلى المدينة بعد أن أدوا العمرة وطافوا بالكعبة ، ودخلت قبيلة خزاعة في حلف الرسول عليه السلام ، وكذلك بدأت القبائل التي كانت على عدا مع النبي مثل غطفان وسليم ومزينة وغيرها في الانضمام إليه فكانت الحديبية فتحا مبينا من الله عز وجل .

٦- نشر الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب وخارجها :

انتهج الرسول عليه السلام منهاجاً جديداً بعد صلح الحديبية وخاصة أن تخلص من اليهود ، فأراد نشر دعوته خارج المدينة المنورة ، لذلك أرسل ستة رسل من عنده في يوم واحد وذلك في شهر المحرم سنة ٧ هـ ، فأرسل إلى نجاشي الحبشة عمرو بن أمية الضمري ، فلما وصل عمرو إلي النجاشي أخذ الكتاب المرسل إليه من النبي عليه السلام ووضع علي عينيه ، وأرسل له المسلمين الذين كانوا بالحبشة ، ويقال انه أعلن إسلامه على يد جعفر بن أبي طالب ، ثم بعث النبي دحية بن خليفة الكابي إلي هرقل رداً عظيماً ، وشهد له انه رسول الله المرتقب ، ولكنه دعي شعبه إلي الإسلام فرفض ، وهذا يدل على احترام أباطرة الروم للإسلام وتوقعهم ظهور النبي عليه السلام الذي بشر به عيسي عليه السلام . ثم أرسل النبي إلي كسري حاكم بلاد فارس عبد الله بن حذاقة السهمي يدعوه إلي الإسلام ، فلما طالع كسري الكتاب قام بتمزيقه ولذلك دعي عليه الرسول عليه السلام بتمزيق ملكه ، وقد حدث بالفعل ، ثم أرسل حاطب بن بلتعة اللخمي إلي المقوقس حاكم مصر ، الذي رد عليه رداً حسناً وأرسل له هدية عبارة عن جاريتين وكسوة وبغله ، وقبل الرسول هذه الهدية وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلي الحارث بن أبي شمر الغساني ، ولما قرأ كتاب النبي عليه السلام ، ورد رداً سيئاً ، ولذلك قال عنه الرسول ط باد ملكه " ، وبعث النبي إلي هونذ بن علي

الحنفي أمير اليمامة سليط بن عمرو العامري ودعاه إلي الإسلام ، وأثر الصمت وعدم الرد ، وأرسل النبي الحارث بن عمير الأذدي بكتاب إلي صاحب بصري ، فلما نزل مؤته أعترضه شر حبيل بن عمرو الغساني ، فقام بقتل الحارث بن عمير ، ولم يقتل للرسول سوي هذا ، وكان سبباً في البعثة التي سيرها النبي عليه السلام وفي العام الثمن من الهجرة أرسل النبي عمرو بن العاص إلي جيفر وعبد ولدي الجندي واميري عمان ، فوافقا على الدخول في الإسلام ، وارسل العلاء الحضرمي إلي المنذر بن سادي أمير البحرين فصدق بالنبي واعلن إسلامه وارسل إلي حكام اليمن وحضرموت والغساسنة وكل أمراء وسادة القبائل العربية بالجزيرة العربية ومعظمهم دخل الإسلام ، وارسل وفداً إلي النبي بالمدينة يستفسر عن ذلك .

٧- الفتوحات الإسلامية زمن الرسول عليه السلام :

وتقع في جهة الشمال من المدينة ، وكان يري النبي عليه السلام أن هذه الجهة المتاخمة لحدود دولته هي المنفذ الطبيعي لإنتشار الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية ، وبالتالي كما كرنا أن حاكم مؤته قتل رسول النبي وهو الحارث بن عمير الأذدي ، فارسل الرسول جيشاً مكوناً من ثلاثة ألف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة في جمادي الأولي سنة ٨ هـ ، ونجد الروم يساعدون الغساسنة في التصدي للمسلمين ، حتى أن المسلمين اصطدموا بجيش كبير العتاد والعدة وصل عدده إلي مائتي ألف

مقاتل . وعلى الرغم من ذلك دخل المسلمون فى حرب غير متكافئة ضد الروم والغساسنة وقتل قائد الجيش زيد بن حارثة ، فحمل اللواء أو الراية عبد الله بن رواحة فقتل أيضا ، فحملها جعفر بن أبي طالب فلحق بصاحبيه وخر شهيدا مثلهما ، فحمل الراية خالد بن الوليد الذي استطاع بكياسته الحربية البارعة أن ينسحب بما تبقى من جيش المسلمين ، وقفل منسحبا إلى المدينة ، ومن هنا أدرك المسلمون أن الروم والغساسنة خطراً عليهم ، وسوف يعدون لهم العدة ويفتحون مسلسلا حريبا بينهم وبين الروم لا مناص منه ، ولا يفكر الروم ولا الغساسنة أن المسلمين لا يهدون فكانت صدمتهم فيما بعد .

فتح مكة سنة ٨ هـ :-

وبدأت أحداث الفتح بأن قبيلة خزاعة التي حالفت النبي عليه السلام على عداة قديم مع قبيلة بني بكر التي حالفت قريش ، فاعتدت بنو بكر على خزاعة حتى التجأت خزاعة بالحرم المكي ، ولم يرحمهم بنو بكر ومساعدوهم من قريش وقتلوا منهم بعض الأشخاص أخذا بثأر قديم ، حتى التجأوا إلى بعض قبائل مكة ليجيروهم من ظلم بني بكر وقريش ، وعلى أثر ذلك ذهب وفد من قبيلة خزاعة إلى النبي فى المدينة وأبلغوه نبأ هذا الاعتداء من بني بكر وقريش عليها بمكة ، فوعدهم النبي عليه السلام أنه سوف يفتنص لهم .

وعلى هذا تكون قريش قد نقضت صلح الحديبية المبرم بينهما وبين الرسول عليه السلام ، ولذلك حدث لها ندم على فعلت ، وعلى ذلك جاء أبو سفيان إلى المدينة ليفاوض مع الرسول بشأن مد فترة صلح الحديبية ، وذهب إلى دار ابنته زوج النبي وهي أم حبيبة التي أساءت مقابلته ، فتقابل مع النبي في مسجد المدينة ولكنه فشل في ما قد سعي إليه ، ورجع خائبا إلى مكة ، وصمم الرسول عليه السلام على فتح مكة وضع حدا لمهزلة إيذاء قريش للمسلمين ، ولذلك جهز جيشا من أهل المدينة عدته عشرة الاف مسلم ، وخرج به من المدينة المنورة في العاشر من رمضان سنة ٨ هـ ، وشاركت في هذا الجيش جموع من مختلف قبائل العرب مثل بنو سليم ومزينة وعقار واسد وقيس وغيرهم ، وبذلك برهن النبي لأصحابه انه استفاد من شروط صلح الحديبية أعظم فائدة ، وألتقي أو سفيان بن حرب بالعباس عم النبي وطلب منه أن يمهد لإعلان إسلامه أمام النبي عليه السلام ، وبالفعل قبل النبي إسلام أبو سفيان بن حرب ، وقال النبي قولته المشهورة حتي يبقي على نفوذ أبي سفيان بن حرب ، ويشعره أن الإسلام لا يهدم نفوذ الناس الداخلين فيه إنما هو دين بناء وتكريم لمن أشهر إسلامه فقال " م ندخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن " .

ونري أن النبي عليه السلام يستعد لدخول مكة ، فقسم قواته إلى عدة فرق وأمر كل فريق من جيشه أن يدخل من جهة تختلف عن

الأخري ، وأمر أصحابه بعدم القتال إلا في الضرورة القصوي وحالة الدفاع عن النفس والأرغام على القتال ، ودخلت قوات المسلمين مكة بدون قتال ما عدا فرقة واحدة التي كان خالد بن الوليد عندما احتك بمجموعة من قريش على رأسها عكرمة بن أبي جهل ، وأرغمهم على التفرق ، وعندئذ دخلت الجيوش الإسلامية مكة وهنا أعلن الرسول صلي الله عليه وسلم العفو العام عن أهل مكة وحقق دمائهم ، وبذلك كسب الرسول أكبر معركة منذ بداية الدعوة الإسلامية بدون قتال أو إراقة دماء ، وهدم الأصنام ، وأبقى على الحجر الأسود ، بسبب انه كان بالكعبة منذ زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وهتف المسلمون " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " وهم يطوفون بالكعبة ، وأصبحت مكة بلدا يحرم فيه القتال ، وتجمع أهل مكة حول النبي عليه السلام وهم في قمة الخوف ولكنه صفح عنهم وقال لهم " اذهبوا فأنتم الطلقاء " ، واثبت لهم وللعالم في ذلك الوقت أن الإسلام ليس دين قتال ولا دين إنتقام بل انه الصفح والعفو السلام ، وبهذا الفتح حدث اتحاد عام بين الأمة العربية في جزيرة العرب .

غزوة حنين والطائف :

وبعد فتح مكة مباشرة سنة ٨ هـ وقبل مرور شهر واحد على هذا الفتح ، اعتبرت قبيلة هوازن وثقيف أن الفتح ضربة قاسمة للوثنية ، فقام مالك بن عوف وجمع رجال ثقيف وبنو نصر وبنو جشم وبنو سعد وبنو

بكر وجزء من بني هلال ، وصمموا على قتال محمد قبل أن يقضي عليهم ، وخرجوا على طريقة الجاهلية معهم أموالهم وماشييتهم ونسائهم وذراريهم ، ونزلوا بوادي " أوطاس " فأرسل لهم النبي اثنا عشر الفا من المقاتلين منهم الفين من أهل مكة ، والتقوا في وادي حنين وتغلبت عليهم هوازن أولا وهرب بعض المسلمين من أهل مكة فارين ، ولكن النبي نادي على أصحابه من المهاجرين والانصار ، وتجمعوا مرة أخرى حول النبي الذي واصل القتال حتي انتهت المعركة بانتصار المسلمين ، وقتل معظم أمرائهم ، وفر ما تبقي منهم غلي الطائف . ورد النبي عليه السلام نساء هوازن واولادهم إليهم ، ثم توجه إلى الطائف مباشرة بعد معركة حنين ، وحاصرها وسط قتال عنيف من أهل الطائف ودفاع مميت ، وقتل حولها عدد كبير من المسلمين ، حتي انه ظل محاصرا لها لمدة خمس عشر يوما ، ثم تركها إلي الجعرانه وقسم الغنائم والأموال بين المسلمين ، ثم أعطي من نصيبه الخمس للمؤلفة قلوبهم الذين منهم أبو سفيان بن حرب وابنه معاوية بن أبي سفيان ، وحكيم بن خزام والحارث بن كلده ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، قم انتقل من الجعرانه إلي مكة ، ثم رجع إلي المدينة ، ثم استقر رأي بني ثقيف على الدخول في الإسلام قبل أن يرجع إليهم المسلمون ، فأرسلوا وفدا برئاسة عبد ياليل بن عمير ، وصالحهم النبي على إسلامهم ودخولهم في طاعة الرسول عليه السلام .

غزوة تبوك :

وتقع فى شمال الجزيرة العربية وكانت هذه الغزوة فى شهر رمضان سنة ٩ هـ ، وكانت تسكن هذه المنطقة قبائل عربية مسيحية مثل كلب وقضاعة ولخم وجذام وعذرة وبعض القبائل اليهودية ، وسار إليهم النبي بنفسه وممن تبرع بماله لعدة لهذا الجيش الصحابي عثمان بن عفان الذي اشترى مئات من الإبل وبعض الخيول وأفرد الف دينار نفقة على العدة والعتاد ، وقد سمي هذا الجيش " بجيش العسرة " ، وزحف النبي على رأس الجيش الذي وصل عدده أكثر من أربعين الف مقاتل ، وكان معه من أعظم قادة المسلمين خالد بن الوليد واسيد بن خضير والحباب بن المنذر الأمر الذي جعل جيش الروم ينسحب داخل المدن مدافعا فقط ، ولذلك سيطر الرسول على مناطق ببلاد الشام وشمال الجزيرة العربية مثل تبوك ، ودومة الجندل ، وأيلة ، وأنرج والجرباء ومقداء وعقد مع هذه البلدان معاهدات أمان بعد أن تعهدوا بدفع الجزية للمسلمين ، وانتهت هذه الغزوة والتي كانت آخر غزوات الرسول عليه السلام ، واكتسب رجال هذا الجيش رضاء الله تعالى ورسوله " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه ساعة العسرة " .

غزوة الوفود ٩ هـ :

وفدت قبائل العرب إلي النبي عليه السلام ودخلت فى الإسلام وكل قبيلة أرسلت وفدا عنها ومنهم وفد ثيم وبني عامر وبني سعد بن بكر ،

ووفد عبد القيس وبنو حنيفة ، وبنو طيء وبنو زبيد وكنده وهمدان ، وغيرهم ، ومن المسيحيين في حران ووفد من الغساسنة بالشام ولذلك سمي هذا العام عام الوفود ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأصبح محمد عليه السلام حاكما عاما على الجزيرة العربية التي أصبحت عاصمتها المدينة المنورة الدينية والسياسية .

حجة الوداع سنة ١٠ هـ :

وقد خرج الرسول لها في مائة الف مسلم او فوق ذلك ، وقد قام بالحج هذا العام والقي خطبة عظيمة على المسلمين ونزلت الآية الكريمة "اليوم أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الإسلام ديناً" وبعد هذه الحجة بحوالي ثلاثة شهور مرض الرسول بالحمي ، واشتد عليه المرض واناب عنه أبا بكر في الصلاة بالمسلمين ، ومات النبي عليه الصلاة والسلام في يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١١ هـ ، وكان عمره عليه السلام في الثالثة والستين عاما ، ومات وهو عند زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها . ولما سمع المسلمون هذا النبأ العظيم الذي وقع وقع الجبال على الأرض ، لم يصدق الناس بأن جزع ابطال الإسلام ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يصدق أن محمدا قد مات من شدة المفاجأة ، ولكن أبا بكر حضر على عجل ، ولما تأكد أن محمدا قد مات ، خرج إلي الناس وردهم إلي رشدهم وجمع شمل قلوبهم بخطبته العظيمة التي منها " أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان

يعبد الله فإن الله حي لا يموت " ثم قرأ قول الله تعالى " وما محمدا إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا " ، ودفن محمد عليه السلام فى المكان الذي توفي فيه ، بعد أن صلي عليه المسلمون أفواجا أفواجا .

واخيرا اسدل الستار علي أعظم واطهر شخصية عرفها الوجود ، فهو النبي المختار ، فهو النور الذي أضاء ظلمات العالم فى كل ليل أو نهار سابق أو لاحق ، تحمل الظلم بصبر جميل ، ترك الدنيا ومباهجها حين عرضت عليه قريش الملك ورفاهية الحياة ، كافح وتحمل الالم حين ضربه سفهاء الطائف بالأحجار واتهموه بالجنون ، وسار فى طريق الدعوة فى سبيل الله ليضرب الأمثال للناس فى الكفاح من أجل النور والخير والمحبة والسلام ، حيث قال الله عنه " وإنك لعلى خلق عظيم " ، وقال النبي عن نفسه " أدبني ربي فاحسن تأديبي " ، وصلاة الله عليك يا معلم البشرية ، فهو لم يسجد لصنم قط قبل الرسالة ، وكان معروفا بالصادق الأمين ، وجاء بالإسلام الدين الجديد السهل الذي جاء بالتوحيد المطلق ، الذي لا هوادة فيه وخالي من التعقيدات اللاهوتية ، وبعده عن الكهنة والقرايين ، واتخذ محمد عليه السلام كل الاحتياطات قبل وفاته حتي لا يؤلهة بعد مماته ، اللهم آت محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة كما وعدته إنك سميع مجيب الدعوات .

٨- الأوضاع الحضارية التي جاء بها الإسلام :

أثر الإسلام على الإنسانية جمعاء خلال حياة الرسول عليه السلام ، غير أوضاع سكانها فى الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية ، وايضا انتشر فى معظم المعمورة بعد حياة النبي عليه السلام ، وغير كثير من أحوال العالم الضالة ونقلهم من الظلمات إلى النور ، ففي أمور وأوضاع الديان جاء المطلق ، وليس هناك اي تعدد أو ضالات ، فكانت عقيدة التوحيد لا إله إلا الله ، والإيمان بمحمد رسول الله ، وأصبحت ثورة على عبادة الأوثان حتى العبادات السماوية فى ذلك الوقت كان قد إندس فيها نوع من الوثنية ، فكانت اليهودية تعبد بعض رجالها مثل (عزيزا) أحد رجالهم الصالحين ، على انه ابن الله .

كما أن الديانة المسيحية قد دخلت فيها كثير من أخطاء الجاهلية ، فقبائل العرب النصرانية فى الجزيرة العربية كانت تنتشر فيها عادات الثأر ، ومنهم من كان يحلف بالللات والعزي ورب الكعبة من أصنام العرب ، ودخلت عليها الفلسفة اليونانية حتى أصبحت عقيدة غامضة ، وكل فرقة تختلف فيها عن الآخري ، وفى جوهر العقيدة ، الأمر الذي زعزع أركان هذه الديانة ، ولذلك أصبح الدين الإسلامي ديانة مكشوفة لدي الجميع تسمو إلى إله واحد مجرد ، وأن محمدا عليه السلام رسول إلى الناس أجمعين العرب وغيرهم من الأجناس ، وأن الإسلام تتحلي به عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، والثواب والعقاب على أعمال الخير والشر

فى الدنيا ، والحساب بالأخرة ، والجنة والنار ، وكل ذلك من اجل تحقيق العمل الصالح بين الناس . ومن أهم الاوضاع الدينية التي جاء بها الإسلام من عبادات وصفاء نفسي فى الخشوع لله عز وجل وهي التي أطلق عليها أركان الإسلام الخمس بعد الشهادتين ، فهي طهارة للمسلم فى عملية الوضوء للصلوات الخمس ، وفي نفس الوقت خشوع وتقوي وتهذيب وتربية للنفس إزاء المولى عز وجل ، والصلاة مفروضة على عامة المسلمين وخاصة الفروض ، كما أن هناك السنن ، وصلاة الخوف والكسوف والاستمطار والاستسقاء ، وصلاة العيدين ، وعلي الموتى ، وصلاة النافلة ، وصلاة التطوع وغيرها من الصلوات التي يقوم بها المسلمون شكرا وحمدا لله . كما أن الصوم وهو تهذيب للمسلم وصفاء للنفس وهو من أهم فروض الإسلام وهو عبارة عن ترك الطعام والشراب والنكاح وكف البصر والسمع واللسان واليد والرجل عن ارتكاب الآثام أو المعاصي ، ويكون الصيام برؤية هلال شهر رمضان ، ويوم الصوم من الفجر حتي الغروب ، والصوم رياضة نفسية وتذليل لها وقمع للشهوة ، وشعور بحاجة الفقراء ، وجاء فرضه بالقرآن الكريم إذ قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " وجاء الإسلام بركن عظيم من أهم أركانه وهو فرض الزكاة ، وقد بين واطهر الإسلام طرق توزيعها على الفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم والرقيق والغارمون وهم الذين أغرقوا فى الدين

والمجاهدين الذين يجاهدون في سبيل الله عز وجل ، وابن السبيل وهو المسافر الذي يحتاج إلي المساعدة ، والزكاة استعملها الإسلام في الرحمة والشفقة والجهاد وتعتبر نوعا من التضامن الاجتماعي حتي يسود الشعور بالأمن داخل المجتمع وعدم الحاجة لشخص إلي شخص آخر .

وفرض الإسلام الحج ، وينسب الحج إلي زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، واسبس الحج على اساس حجة الوداع منذ سنة ١٠ هـ ، والحج فرض على القادر والذي يستطيع الحج ويمتلك الصحة والمال ، ويعفي منه المسلمون غير القادرين ، وايضا هناك نوع من الحج يسمى العمرة ، ويشتمل على الطواف والسعي بين الصفا والمروة ويكون في غير مواعيد موسم الحج ، أضف إلي ذلك فهو اجتماع عام لكافة مسلمي الأرض ليتعاونوا ويستمتعون إلي أوضاع بعضهم البعض ، وهو مظهر عادل إذ يجعل الجميع يوتدون ملابس الإحرام الموحدة ، فلا تمييز بين الغني والفقير أو الأسود والابيض .

وحرم الإسلام الزنا لأنه جريمة شنعاء واختلاط للأنسب وفاحشة كبرى ، وابعح الزواج بأربعة على ذمة واحدة حتي يعالج فاحشة الزنا ، وعالج الإسلام حرية المرأة بقصد صيانتها وتحت حماية زوجها ، كما أباح زينتها لزوجها ، وحرم الإسلام وأد البنات خشية الفقر ، وحرم نكاح المقت والرهط والاستبضاع ، واحتفظ الإسلام بحق المرأة في الميراث والزواج والأولاد والطلاق ، ولها الحق في إبداء الرأي مع

الزوج والوقوف بجانبه ، كما أباح لها الحق فى الاشتراك فى الحروب لإثارة حمية الرجال ضد الأعداء ، ونجد أن الإسلام حفظ كل حقوق النساء حتى يضمن لهن العفة والطهارة . .

كما نظم الإسلام حياة المسلمين والمجتمع الإسلامى على أسس شرعية تحقق العدالة بين الناس فنظم القصاص من القاتل مع تنفيذه فى أيدي أولي الأمر أو الحكام ، ووضع الحد على السارق / ورجم الزاني حتى الموت إذا كان محصنا ، والجلد لمن لم يتزوج ، وحرّم الخمر والميسر ، وتحرير العبيد والرقيق ، وجاء بمبدأ الانتخاب والشورى عند إختيار الحكام وغير ذلك ، بما ورد ذكره فى القرآن الكريم والتي لم تترك كبيرة ولا صغيرة إلا نظمتها ووضعت لها كافة الحلول التى تناسب قدرات البشر أجمعين ، وتحقق لهم سبيل العيش فى أمن وطمأنينة وسلام .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

” عصر الخلفاء الراشدين ”

(١١ - ٤٠ هـ / ٦٣٢ - ٣٦٦ م)

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهرت مشكلة بين المسلمين فجأة دون أن يتوقعوها لأن موت الرسول عليه السلام كان مفاجأة لهم أيضاً والدليل على ذلك عندما وقف عمر بن الخطاب فى الناس يخطبهم " أن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات ، وإن رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلي ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب أربعين ليلة عن قومه ثم رجع بعد أن قيل انه مات " ، ثم جلاء أبو بكر مسرعاً ولم يلتفت إلي حديث عمر بن الخطاب ، ودخل فى بيت عائشة أم المؤمنين وكشف عن وجهه الكريم واخذ يقبله ويكي ثم قال " بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، طبت حياً وطبت ميتاً " ثم تركه أبو بكر وتوجه إلي الناس وقال لهم " أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " ، ثم أعلن وفاة الرسول عليه السلام على الناس ، ثم دفن عليه السلام فى حجرة عائشة فى يوم الاثنين الموافق ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هـ / ٦٣٢ م ، وسرعان ما ظهرت مشكلة نظام الحكم ومن يخلف رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلم يعين الرسول لها احداً من بعده ، بل ترك الأمر شورى بين جموع المسلمين ليختاروا من يفضلون من بينهم ليدير دفة أمورهم حسب إرادتهم ، ولذلك

كان الأمر نقطة نزاع بين المهاجرين والأنصار ثم أصبح المسلمون في أمس الحاجة إلي أن يقيموا لأنفسهم في حدود القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ونبذ الاختلافات . وعندئذ أراد أن يكون منصب رئاسة المسلمين أو خلافة رسول الله تكون فيهم ، ولذلك اجتمع الأنصار بسقيفه بنبي ساعدة بالمدينة المنورة ، وأخرجوا من بينهم رجلاً لتولي منصب خلافة النبي عليه السلام وهو (سعد بن عبادة سيد الخزرج) والذي قال في خطبة في هذه المناسبة وأظهر فيها فضل الأنصار على الإسلام وعلى المسلمين وجهودهم في إيواء الدعوة الإسلامية وإظهارها على الوجود ، ونجد في نفس الوقت قبيلة الأوس وهي القبيلة الثانية بالمدينة قد فقدت زعيمها سعد بن معاذ قبل وفاة النبي عليه السلام ، وهي تعارض زعامة الخزرج ، ولم ترتاح لمثل هذا التعيين ، ولم يبائع جمهور الأنصار سعد بن عبادة إنما أخذوا يتدارسون الأمر بينهم .

سمع المهاجرون باجتماع ثقيفه بنبي ساعدة من قبل الأنصار وكانوا مشغولين بتجهيز ودفن الرسول عليه السلام ، ولذلك سارع وفد من المهاجرين يتكون من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم ، وذهبوا مسرعين إلى ثقيفه بنبي ساعدة ليلحقوا هذا الأمر قبل أن يستفحل ويدركوا أراء الأنصار حول هذا الموضوع ، ويظهروا لهم فضلهم في نشر الدعوة الإسلامية ، فلما وصل الثلاثة قال أبو بكر الصديق لجمهور الأنصار بالثقيفة بعد أن وضح لهم

فضل المهاجرين على الإسلام ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وعلى الرغم من ذلك لم يقتنع الأنصار بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكاد الفريقان أن يختلفا . وعندئذ وقف الصحابي أبو عبيدة بن الجراح والقي مقولته على أهل المدينة بقوله " يا معشر الأنصار كنتم أول من نصر وأذر فلا تكونوا من بدل وغير " ، وهنا خرج بشير بن سعد وقام بتأييد قول عمر بن الخطاب وأبو عبيدة أبا بكر بتولي خلافة المسلمين بعد وفاة النبي ، ثم دخل بشير بن سعد وبإيعاب أبي بكر الصديق ، واسرع أفراد قبيلة الأوس بالمبايعة لأبي بكر ورأت في ذلك العدل والبعد عن عصبية الأوس والخزرج وارتاح أهل المدينة بهذه المبايعة . وبإيعاب المهاجرون والأنصار في البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه كما تردد بعض الأشخاص في البيعة لأبي بكر الصديق منهم علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأب بن كعب ، ولكن ذهب إليهم عمرو بن الخطاب رضي الله عنه واقنعهم بترك الفرقة واحقية أبو بكر في هذه الغمارة ، وسرعان ما رجعوا إلي رشدهم وقاموا بمبايعة أبي بكر الصديق وتوحدت الكلمة واجتمع شمل المهاجرين والأنصار .

ونجد كلمة خلافة تعني نيابة عن النبي صلي الله عليه وسلم في حفظ الدين وسياسة الدنيا ، اي يجمع الخليفة بالنيابة عن رسول الله أمور

الدين والدنيا والسلطة الدينية والدنيوية ، ويرى ابن خلدون بأنها " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي فى مصالحهم الأخرى والدنيوية الراجعة إليها ... فهي فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به " ، وعلى ذلك تكون الخلافة نظام مستحدث حتمته الظروف التي حلت بالمسلمين بعد وفاة النبي دون أن يعين للمسلمين خليفة ، بل تركها ليختاروا من يصلح لها ، وجرياً وراء نظام الانتخاب والأخذ برأي الأغلبية من المسلمين ، وقد تأكدت طاعة المهاجرين والأنصار لأبي بكر الصديق بالمبايعة التي تعني الطاعة والعهد ، وكانت ببسط اليد وبمصافحة المبايع له ، ثم حدثت المبايعة العامة لأبي بكر الصديق من عامة جمهور المسلمين فى اليوم التالي لوفاة النبي عليه السلام ، وبعد ذلك صعد للمنبر والقى خطبة على الناس بالمسجد جاء فيها " أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخياركم ، فإن أحسنتم فأعينوني وأن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أخذ الحق له ، والقومي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه ، لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، أطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلي صلاتكم يرحمكم الله .

وعلى ذلك فقد حدد أبو بكر الصديق منهجه الذي سوف يسير عليه فى رئاسة المسلمين ، وبين انه يطلب المعاونة إذا أحسن سير الامور ،

وانه يطلب التقويم والمساعدة إذا اساء ، والحض على الصدق والتحذير من الكذب مع التمسك بالعدل بين القوي والضعيف والمساواة بينهم ، واثار إلى ضرورة التمسك بروح الجهاد فى هذه الدولة الفتية ، والجدير بالذكر أن النبي عليه السلام كان يتلقى أوامره من رب العرش العظيم ، وكان يستشير أصحابه فيما لا وحي فيه ، واذلك لجا الصديق إلى تكوين مجلس للشورى من كبار الصحابه رضوان اله عليهم يستشيرهم فى كل الأمور الهامة .

(١) خلافة أبي بكر الصديق (١١ - ١٣ هـ / ٦٢٢ - ٦٢٤ م)

نعطي نبذة عن الخليفة الأول للمسلمين وهو أبو بكر الصديق ، فقد ولد بمكة بعد مولد النبي عليه السلام بسنتين ، نشأ بمكة قبل الإسلام ، واشتغل بالتجارة وعادت عليه بارباح عظيمة ، وكان قاضلا ويشارك بماله فى الأخذ بيد الضعفاء والمحتاجين ، ولم يشارك قريش فى كثير من عاداتهم السيئة وكان لا يشرب الخمر على الإطلاق ، وصحب النبي عليه السلام قبل البعث ، ولذلك لما بعث النبي بآيات التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كان أو لمن صدقه من الرجال ، وصدقة يوم الإسراء والمعراج ، وشارك الرسول عليه السلام فى الدعوة الإسلام وأسلم على يديه عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن

عبيد الله والزبير بن العوام وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وغيرهم .

لقد شارك النبي عليه السلام في الرأي لما ينتفع به من حسن الحلق والعلم ورجاحة العقل ، وانفق أموالاً كثيرة في شراء المستضعفين من الرقيق وأعتقهم لوجه الله تعالى ، وصحب النبي في هجرته من مكة إلى المدينة وهو المقصود في الآية الكريمة " إلا تتصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا " ، ولقد كان أبو بكر يكثر من قراءة القرآن الكريم ، الأمر الذي جذب كثيرين من أهل مكة إلى سماع القرآن الكريم والدخول في الإسلام .

وقد اختار الرسول أبا بكر الصديق واصطفاه في مشورته في أمور كثيرة ، ولذلك مان العرب يطلقوا على أبي بكر اسم وزير النبي عليه السلام وشارك النبي في كل الغزوات التي غزاها ودافع عنه يوم أحد سنة ٣ هـ وقد سلم الرسول عليه السلام الراية إلى أبي بكر الصديق في آخر غزوة غزاها يوم تبوك ، وفي السنة التاسعة من الهجرة عينه أميراً على الحجاج ، وعندما مرض الرسول أمر أبا بكر أن يصلي بالمسلمين فصلي بهم سبع عشر صلاة وقيل ثلاثة أيام ، وهي من الأدلة الدامغة التي ارتكز عليها المؤرخون في أحقية أبي بكر بالخلافة بعد رسول صلي الله عليه وسلم ، وبذلك أصبحت الإمامة في الصلاة من أهم

أعمال الخلفاء والولادة في البلدان الإسلامية التي تولوها ، وكان أبو بكر الصديق أحق الناس بالخلافة بعد النبي عليه السلام .

أعمال أبي بكر الصديق

جيش أسامة بن زيد :

منذ غزوة مؤتة التي ظهرت فيها براعة خالد بن الوليد بالإنسحاب بجيش المسلمين من ميدان المعركة ، بعدما رأى عدم استطاعتهم مواجهة الروم ، ولذلك عمل الرسول عليه السلام على ضرورة توطيد نفوذ المسلمين شمال الجزيرة العربية ووضع حداً لتفوذ الروم في هذه المناطق ، فجهز حملة بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة جعل فيها كبار رجال المسلمين مثل أبو بكر وعمر وغيرهم ، وكان أسامة بن زيد لا يزيد عمره عن العشرين عاماً ، وذلك تكريماً لأستشهاد والده زيد بن حارثة في معركة مؤتة السابقة ، وبالتالي حتي يظهر الإيمان بقوة الشباب المسلم وطاعة اكابر الصحابة لأوامر رسول الله بدون تفكير أو اعتراض .

كان هذا الجيش يعد عدته في منطقة الجرف بجوار المدينة المنورة وبعد موت الرسول عليه السلام ، رأى بعض المسلمين إرجاء حملة أسامة حتي ينتهي أبو بكر من مواجهة مشكلة المرتدين ، رفض أبو بكر وصمم على إنقاذ هذا الجيش وقال " والله الذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنقذت بعث أسامة كما أمر رسول الله عليه السلام ولو

لم يبق في القري غيري لأنقذته " ، واعتبر أبو بكر نفسه مسئولا عن تنفيذ أوامر الرسول عليه السلام كما أراد ، ولو تأخر عن ذلك فسوف يكون أول من نقض أوامر الرسول عليه السلام ، ولذلك قام بتوذية جيش أسامة ماشيا على قدمية حتى فارق حدود المدينة المنورة .

واوصي أبو بكر الصديق جيش أسامة بقوله " أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فأحفظوها عني ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا أمراه ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوها ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ، ولا بيعرا للأكل ، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ، وسوف تقدمون على قوم يأتوكم بأنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم فيها شيئا فاذكروا اسم الله عليها ، اندفعوا باسم الله . واصنع يا أسامة ما أمرك به نبي الله ولا نقصر في شيئا من ذلك " .

وصل أسامة البلقاء بعد عشرين يوما من رحيله من المدينة المنورة حيث تقع مؤتة التي استشهد فيها والده وبعض الصحابة ، فحارب قبيلة قضاة وأجلاههم وهزمهم ، وأغار على بلاد البلقاء واخضع معظم سكانها للإسلام ، واسر عددا كبيرا من أهلها وقتل كل من أعترض المسلمين ، ثم رجع بعد سبعين يوما من خروجه ، بعد أن أدب قبائل العرب الفاطنة على حدود الجزيرة العربية الشمالية ، وامن هذه المناطق

وقمع كل القبائل التي فكرت في الردة عن الإسلام ورجع سالما غانما هو وجيشه .

حروب الردة :

وهي رجوع العرب عن الإسلام أو عن بعض أركانه ، وادعاء النبوة وخاصة بعد وفاة النبي عليه السلام ، فكثير من قبائل العرب دخل الإسلام طامعا في الغنائم أو لتجنب الحرب مع المسلمين ، ومنهم من كان يسعى إلى استرجاع ملكهم مثل بني ربيعة بالبحرين ، وبعض القبائل لم ترضي عن تفوق قريش عليها ، وهي كانت حرب سياسية أكثر منها دينية وكانت تهدف غالبيتها إلى الاستقلال عن سلطان المدينة المنورة ، واعتبرت الزكاة نوعا من الإتاوة عليهم فطالبوا بإعفائهم من الزكاة ، والتمس بعضهم من وراء انتحال النبوة نوعا من الرئاسة السياسية منافسة لقريش ، ووقفت القبائل العربية وراء المتنبئين فيها تعصبا فقط لحقها وانهم يعلمون كذبهم ، ويطلق على كل هؤلاء المرتدين أو الردة ، ومن أهم هذه الحركات التي قامت في الجزيرة الحركات الآتية :-

(١) طليحة بن خويلد الأسدي

عرفنا أن أبا بكر الصديق اشتهر بطيب القلب والسماحة واللين ، وفي نفس الوقت اشتهر أيضا بالشجاعة والقوة والإرادة ، وشارك في الغزوات والحروب مع النبي بتضحيته وعزم ، ولذلك قرر أبو بكر منذ توليه الخلافة أن يسير على منهج وطريق رسول الله صلى الله عليه وسلم

، وفى إكمال وحدة المسلمين وتوحيد العرب ، ونشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية ، كما أرادها النبي عليه السلام ، فلما يتوانى يوماً أبداً فى أمور الإسلام ولا الابتعاد عن منهج النبي مهما أدى إلى بذل الأموال والأنفس .

وكانت حركة طليحة بن خويلد الأسدي من أخطر حركات الردة لأنه ادعى النبوة فى حياة النبي عليه السلام ، وساعده قومه على ذلك وهو بنو أسد بن خزيمه وانضم إليهم أحلاف هذه القبائل من بني طيء والغوث وغطفان ، ودعا الناس إلى تعديل فى بعض أركان الإسلام فنهى الناس عن الركوع والسجود فى الصلاة وأن يؤدوا الصلاة وهم واقفون ، وأن الوحي جبريل يأتي إليه ، وصمم أبو بكر على قتال طليحة بن خويلد ، فأراد عمر بن الخطاب أن يثبط من عزمه ، لأنهم مسلمين يقولون لا إله إلا الله ، فرد عليه أبو بكر بقوله " رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جباراً فى الجاهلية خواراً فى الإسلام " وقال قولاً آخر " والله لو منعوني عقاب بغير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه " ، ولذلك وجب قتال المرتدين عن أي ركن من أركان الإسلام دون هوادة ولا استهتار .

عهد أبو بكر إلى خالد بن الوليد على رأس حملة عسكرية للقضاء على طليحة بن خويلد الذي استعجل أمره ، وخاصة أن بني أسد وغطفان أغاروا على المدينة ليلاً ولولا استبسال المسلمين فى الدفاع عنها لغيروا مجرى الأحداث ، ولكن نصر الله حق للمؤمنين ، وكانت هذه القبائل

بقيادة طليحة قد قتلت قائدين مسلمين وهما عكاشة بن محصن الأسدي وثابت بن أقرم البلوي ، ولما ذهب خالد بحماته إلي هذه القبائل خافت من جيوش المسلمين واعلنت دخولها في الإسلام كما كانت ووافقت على دفع ما عليها من زكاة ، أما طليحة فقد فر إلي الشام ، ثم رجع إلي المدينة تائباً ودخل الإسلام وعفا عنه أبو بكر الصديق ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، اشترك في الفتوحات الإسلامية ببلاد الشام والعراق وقد أظهر حسن إسلامه وجهاده في سبيل الإسلام .

(٢) مالك بن نويرة :

كان مالك بن نويرة عاملاً للرسول عليه السلام على الصدقات على بني حنظلة ، ولما مات النبي عليه السلام ، الغي الصدقات والزكاة عنهم وأعلن ارتداده عن الإسلام وتحصن بقومه بني يربوع وهم من بني تميم وكان يقيم بالبطاح ، وذهب لقتاله خالد بن الوليد ، وهجم خالد على البطاح ، وقام باسر مالك بن نويرة ومجموعة من رجاله ، وفي أثناء الليل وكان الجو شتاء ، فأخذت الشفقة خالد بن الوليد على الأسري ، وأمر رجاله أن يدفنوا الأسري ، وكلمة أدفنوا الأسري في بعض القبائل العربية مثل كنانة تعني القتل للأسري ، ولذلك قام رجال خالد بقتل الأسري ومنهم مالك ، ولما علم خالد بذلك غضب من رجاله وتأسف على مالك بن نويرة ، ولذلك تزوج امرأته ، وعلم أبو بكر الصديق بذلك ولم يعر هذه الحادثة اي اهتماما ، ولكن عمر بن الخطاب اتهم خالد بقتل

هذا الرجل وتزوج امراته وحاسبه على ذلك ، ونرجح أن خالد بن الوليد لم يقصد قتل هذا الرجل وتزوجه من زوجته ربما يكون تكفيراً عن قتله وتكريماً لزوجته ، وبالتالي أن مقتل مالك بن نويرة وهو على الكفر والردة الأمر الذي جعل الخليفة أبو بكر الصديق لا يعطي هذه الحادثة اهتماماً .

(٣) مسيلمة بن حبيب الحنفي (الكذاب) :

ادعى النبوة في أهل اليمامة واشاع بين الناس أن الله اشركه مع النبي في الرسالة ، وصدق أهله حتى انه أرسل بجهلة إلي النبي عليه السلام بالمدينة ، " من مسيلمة رسول الله إلي محمد رسول الله ، وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها " ، لذلك رد عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم " من محمد رسول الله إلي مسيلمة الكذاب / سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين " ، وتوفي النبي قبل أن يتمكن من القضاء على مسيلمة ، وكانت هذه الحركة تهدف غلي القضاء على سيادة قریش لأن بني خليفة كانت أقوى من قریش في الجاهلية ، ولذلك تجمع حول مسيلمة عدد أربعين ألفاً من المقاتلين ، الأمر الذي جعل أبو بكر الصديق يأمر عكرمة بن أبو جهل بالتوجه إلي اليمامة لقتاله لكن مسيلمة تمكن من هزيمة جيش المسلمين ، ثم أرسل له جيشاً بقيادة شرحبيل بن حسنة الذي انهزم ايضاً أمام جيوش مسيلمة الكذاب ، الامر الذي زاد من خطورة هذه الحركة ،

وكلف أبو بكر خالد بن الوليد بقتال مسيلمة الكذاب ، وعندما وصل خالد أطراف اليمامة شد الحصار على مسيلمة وكانت الحرب سجالات بين الفريقين وتقابل خالد مع مسيلمة في منطقة عقرباء وهزمه وقتل سبعة آلاف من رجاله ، ثم تبعه وتقابلا مرة ثانية في منطقة تسمى الحديقة وقتل سبعة آلاف من اتباع مسيلمة آخرين ، وفر جيش مسيلمة من أمام جيوش المسلمين ، وقيل انه استشهد من المسلمين حوالي الف ومائتين مسلم ، وقتل في معركة الحديقة مسيلمة وكبار بني حنيفة وانتهت هذه الحركة ودخل بنو حنيفة الإسلام مرة ثانية بعدما تأكدوا من كذب مسيلمة واتباعه

(٤) الأسود العنسي :

وهو ينتسب إلى قبيلة عنسي واسمه أصلاً عبهلة بن كعب ولقب بالأسود لسواد لونه ، وادعى النبوة باليمن بعد عودة الرسول من حجة الوداع سنة ١٠ هـ ، وكان يهدف إلى إخراج حكام اليمن المسلمين وهم الذين اطلق عليهم " الأبناء " لأن أصلهم من بلاد فارس ولكنهم اعتنقوا الإسلام وصاروا تحت إمرة المسلمين ، وأعلن رده وتجمع حوله الكثيرون من ضعفاء الإيمان ، وطرد عامل الرسول عن نجران وقتل عامل صنعاء وتزوج امرأته قهراً ، وكبر نفوذه وزادت حركته باليمن .

وعندما علم بذلك الرسول عليه السلام ، أرسل إلى حكام الولايات الإسلامية باليمن وضرورة القضاء على حركة الاسود ، وقام هؤلاء الولاة بإستمالة قائد الجيش التابع للأسود وهو قيس بن عبد يغوث ومعه

كبار مساعدي الأسود ، وفي نفس الوقت انضمت إليهم زوجة الأسود لأنها كانت تمقتة ، وسرعان ما انقضوا عليه وقتلوه وانتهت حركته ، ورجع ولاية الرسول عليه السلام كما كانوا حكاما على اليمن ، وانتهت هذه الحركة وتم القضاء عليها في حياة النبي عليه السلام وقبل وفاته بقليل وعادت اليمن إلي حظيرة الإسلام .

٥) بلاد اليمن وارتداد قيس بن عبد يغوث:

كما رأينا من قبل ل قيس بن عبد يغوث كان قائدا للجيش لخاص بالأسود العلمي ، ثم انضم للمسلمين وانقض على الأسود وقتله ، وأعلن اسلامه ولكنه في خلافة أبي بكر ، تحده يقوم بالحقد على حاكم اليمن المسلم "فيروز" وأعلى ثورته على حكومة اليمن الإسلامية ، وانضم إليه كثير من أهل اليمن ، وعندئذ دعى فيروز كافة القبائل الإسلامية باليمن بالانضمام إليه وانضمت إليه قبائل بنو عقيل وربيعة وعك ، واشتكت مع قيس وهزمه ؛ وفر قيس وظل يثير الفتن والقلاقل ضد المسلمين ، وانضم إليه في حركته عمرو بن معد يكرب ، وازدادت هذه الردة باليمن . ارسل لهم أبو بكر الصديق قائدين من أعظم قادة المسلمين وهما عكرمة بن أبي جهل والمهاجر بن أمية ؛ واستطاع المهاجر بن أمية تشتيت هذه الحركة والقبض على قيس بن عبد يغوث وعمرو بن معد يكرب وأهدأ الأحوال باليمن ورجعت إلى طاعة المسلمين وحسن إسلام أهل اليمن منذ

ذلك الحين ، اما قيس وعمرو فقد أرسلوا إلى المدينة حيث الخليفة أبي بكر الصديق وترك له الأمر فيهما.

(٦) الردة في حضرموت وكندة :

ارتد عن أداء الزكاة والبيعة لأبي بكر كل من عمرو بن معاوية الكندي ، والأشعث بن قيس الكندي ، ولذلك اشتبك معهم القائد زياد بن لبيد والى حضرموت ومعه المهاجر بن أمية)، واستطاع لبيد أن يخضع بني عمرو بن معاوية الكندي ؛ وانضمت جيوش لبيد إلى جيوش المهاجر بن أمية وأوقعوا الهزيمة بحيث الأشعث واضطر إلى الفرار ، ثم قبض عليه المهاجر وأرسله إلى المدينة حيث عفى عنه أبو بكر الصديق ، وعاش بالمدينة ومحسن إسلامه ثم أشارك في حركه الفتوحات الإسلامية زمن الخليفة عمرو بن الخطاب في فتوحات العراق.

(٧) حركة سجاح

قامت هذه الحركة إلى يد امرأة تسمى أم صادر سجاح بنت أوس من قبيلة تميم بجزيرة العراق ؛ وهذه المرأة ادعت النبوة وقامت بالاتصال بمسيلمة الكذاب ؛ واتفق المؤرخون أنها سارت على رأس جيش لإخضاع مسيلمة لنفوذها ، ولكن مسيلمة استطاع أن يقنعها ، وشايعتها بعض القبائل لمحاربة أبي بكر الصديق ومنها تصاري تغلب ؛ وقيل أن مسيلمة تزوج من سجاح المر الذي زاد من حركتها شدة ، ولكن بقضاء خالد بن الوليد على مسيلمة انتهت حركتها ، وقيل أنها

اعتنقت الإسلام وماتت في زمن معاوية بن أبي سفيان ، وكان مقام إقامتها بمدينة البصرة بأرض العراق .

(٨) بلاد البحرين :

ارتد بعضهم عن الإسلام وهم من بني عبد القيس وبني بكر وتجد القائد الجارود بن المعلى يقوم بأقناع قومه بني القيس أن يعودوا إلى الإسلام ونجح في ذلك ، أما بذر بكر اصمعا على الردة تحت قيادة زعيمهم الحطم بن ضبيعة والذي جمع حوله كثير من بلاد البحرين وهجر وغيرها ، ولما استفحلت حركته ، أرسل إليه الخليفة أبو بكر الصديق القائد العلاء بن الذي هجم على العظم في قومه وقتله وقتل الكثير من المرتدين معه ؛ وأخضع هذه البلاد للإسلام مرة أخرى ، وأعلنوا توبتهم وحسن إسلامهم .

(٩) بلاد عمان :

أضف إلى ذلك أرسل أبو بكر القائد حذيفة بن محصن إلى بلاد عمان الذين ارتدوا عن الإسلام بعد موت الرسول عليه السلام ، وكان على إمارتهم ذي التاج لقيظ بن مالك الأزدي الذي ادعى النبوة ، واتجه إليهم حذيفة بن محصن وعكرمة بن أبي جهل وانضمت إليها قوات حكام المسلمين في عمان ، والتقوا في معركة حامية انتصر فيها المسلمون على ذي التاج لقيظ بن مالك الأزدي ، وعلموا منهم غنائم كثيرة ، ووزعها المسلمون على أنفسهم وأرسلوا الخمر إلى المدينة

المنورة) حيث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ ودخلت عمال في الإسلام مرة أخرى .

وخلصة القول أن أبا بكر الصديق لم يتهاون مع المرتدين مثقال ذرة ، ولو فعل ذلك وتهاون معهم لصاع الإسلام في مهده ، كان أبو بكر الصديق على فكر راجح وعقل ثابت في القضاء على حركة الردة التي كانت خطرا على الإسلام أعظم من خطر فريش على الرسول عليه السلام ، فتجده لا يتوان في تجهيز أحد عشر جيشا لقتالهم وهم : خالد بن الوليد لقتال طليحة بن خويلد الأسدي ، ومالك بن نويرة في قبيلة تميم ، والجيش الثاني بقيادة عكرمة عن أبي جهل لقتال مسيلمة الكذاب ، والثالث المهاجر بن أبي دينار ، والرابع خالد بن سعيد بن العاص وأرسله أبو بكر إلى مشارف الشام ؛ والخامس عمرو بن العاص وقاتل قساعة ، والسادس عرفجة بن هرثمة وقاتل قبيلة مهرة . والسابع حذيفة بن محصن وقائل أهل عمان ، والثامن شرحبيل بن حسنة ؛ والتاسع طريف بن حاجز وقائل بني سليم و هوازي ، والعاشر سويد بن مقرن لقتال قبائل تهامة ، والحادي عشر العلاء بن ي" وقاتل المرتدين بالبحرين ، هذا هو الدرس العظيم من القائد العظيم والتعليمة الثابتة الإيمان والذي ست أركان العالم الإسلام بكل أنحاء الحريرة العربية وراح أكثر من ذلك ، باله جهز الجيوش الإسلامية لنشر الإسلام بلاد فارس والروم ، رحم الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الفتوحات الإسلامية زمن أبي بكر الصديق:

عندما فرغ أبو بكر الصديق من القضاء على حركة الردة لجزيرة العرب ؛ وجه بصره إلى نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية ، واستعمال مبل العرب القطري إلى القتال ، ولذلك أراد الدخول في عمليات حربية أخرى المقصود بها الدفاع عن الدولة العربية بالمدينة واستغلال ضعف إمبراطوريتي الفرس والروم ؛ وخاصة أن لف خليفة أصبح له رؤين يفوق نفوذ الامبراطور الروماني وكسرى ملك الفرس ، وخاصة أن العرب حسن إسلامهم بعد معارك الردة والتي هي دافع لإحياء العصبية فقط وليس القضاء على الإسلام ؛ ولذلك صمم العرب على نشر الإسلام بين الممالك المجاورة ؛ ومما شجع العرب سماعهم عن خبرات هذه الشعوب الوثنية وما تمتعت به من ثروات مثل العراق وفارس والشام ومصر .

فكان الروم يديدون بالمسيحية ، وحدثت اضطهادات بين الوثنية " الرومانية والمسيحية ولكن أخيرا انتصرت المسيحية وفي نفس الوقت لم تكن خالصة بسبب الاضطهادات المذهبية داخل المسيحية نفسها ، الأمر الذي أدى إلى ضعفها ؛ وسد الفساد داخل هذه الإمبراطورية والانقسامات الدينية والسياسية ، بالإضافة إلى أن الأباطرة حطوا الناس على اعتناق المذهب الملكاني ، مما جعل الاضطهاد على أشدن بمصر

من البلدان الأخرى ، وأرادوا قوة أخرى تخلصهم من العنف والاضطهاد.

أما الفرس فقد اضطرت أحوالهم ابتداء من القرن السادس الميلادي ، بعد وفاة كسرى أنوشوران ، وكثر النزاع على الحكم وكال ماركهم يدينون بنظرية الحق المقدس وغالوا في ذلك ، حتى وصلوا إلى ادعاء الألوهية ، وكان مجتمعهم مقسما إلى طبقات فمنهم الأمراء ورجال الدين والفرسان وعامة الشعب ، وكانت طبقة الشعب تعاني الكثير من فساد طبقة الحكام ورجال الدين ، وكثرت أعمال السلب والنهب باسم الدين في الشعوب الفارسية ، وبالتالي تطلعوا إلى من يخلصهم من هذا الفساد مثلهم مثل الشعوب الرومانية" ، بالإضافة إلى أن المسلمين كانوا يعلمون بذلك ، الأمر الذي شجعهم على نجدة هذه الشعوب من براش الجهل والفساد واخراجهم إلى النور والحق .

فتح العراق :

عند أن ظهر الإسلام الحنيف ووصلت أخباره وسيادته إلى بلاد فارس ، وسمعت الشعوب الفارسية بهذه المبادئ السامية وخاصة نظام المساواة بين الناس أجمعين و لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى ، أشتاق الشعب الفارسي إلى هذه المبادئ واعتبروها الخلاص من الرق و العبودية والفقير ، كما أعجبوا بمبادئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعاملتهم للمسلمين بالعدل والحق ، ونصوص القرار الكريم الدالة

على احترام الدوس وقيمة كل فرد ولذلك الحب لعرس إلى الإسلام قبل ان يأتي اليهم ، و عندما قدم اليهم كان الفتح العظيم لهم ولأمة الإسلام.

عندما وجه أبو بكر الصديق القائد العلاء من العصر في الحال المرتدين في البحرين ، أمر أبو بكر أمرا بانضمام القائد المثنى بن حارثة الشيباني إلى العلاء بن الحضرمي وساعده في النصر على المرتدين في البحرين او من البحرين زحف المثنى بن حارثة نحو العراق وكان معه ثمانية آلاف محارب حتى وصل إلى نهر الفرات ، وأخضع كثيرا من القبائل في هذه المنطقة ، ولما رأى كثرة جيوش الفرس في العراق ، أمر أبو بكر خالد بن الوليد بالتوجه المساعدة المثنى بن حارثة ، وأسرع خالد بجيشه وانضم إلى المثنى بن حارثة). تم قسموا الجيش إلى ثلاثة أقسام على القسم الأول خالد بن الوليد والثاني عباس بن عدم ، والأخير على رأسه المثنى بن حارثة" .

و التقى خالد بن الوليد بحيش الفرس وكان على رأسه القائد مرمز وذلك في شهر محرم سنة ١٢ هـ / ٦٣٢ . والموقعة عند قرية الحفير ، وانتصر الجيش الإسلامي وقتل القائد الفارسي هرمز ، وفرت فلول الجيش الفارسي وطاردهم المسلمون حتى موقع البصرة ، وتمت جميع العمل بهذه المنطقة الإسلام ومن لم يدخل فيها دفع الحرية للمسلمين ، وسميت هذه المعركة باسم ذات السلاسل لأن فقد المرور اس خلوده يريد بعضهم بالسلاسل ، وسبت ايضا كاظمة نسبة إلى مكان المعركة بالعراق"

لنا عن موقعة الجسر فكانت سنة ١٣ هـ بعد وفاة في كر الصديق ،
 فارس بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه القائد أبي عبد بن مسعود العلي
 على رأس جيش من خمسة آلاف مقابل وانضم اليهم حتى المثنى بن
 حارثة بجيشه وانتصروا على معظم المواقع الفارسية بالعراق".

التفوا بجيش من الفرس في منطقة بالحيرة تسمى بالمروحة ،
 وكان بين الحبشيين جسر قديم على مياه نهر الفرات ، وعبر عليه أبو
 عبيد الثقفي ومعه الجيش الإسلامي ، وعندئذ دارت معركة حامية انتصر
 فيها الفرس على إثر انقطاع الجسر فوق الماء ، مما جعل المسلمين
 يموتون عرقا ، وقتل عدد كبير من المسلمين وقتل أبو عبد الثقفي في
 المعركة ، وجرح المثنى بن حارثة".

ولما تلقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بها هذه الهزيمة ، جهز
 جيشا جرارا وعليه القائد جرير بن عبد الله البجلي او سار نحو العراق
 وانضم إليه المشي في حارثة وما ، من جيشها فارس الفرس لهم حينما
 كبيرة التي بجيش المسلسل عد البويب والتمر كال سير حملة المسلمون
 وقرا القائد فارسي ميزان في هذه الممر ادري بعد سويد بن قحبة البجلي
 الذي انتصر على الفرس ، ثم سير عقبة بن غزوان والذي نزل منطقة
 البصرة ن تم جاء أبو موسى الأشعري الذي الفتح باقي منطقة البصرة
 وأكمل بناء البصرة ووزع الخطط على المسلمين.

كما كان خالد بن الوليد يواصل تقدمه داخل الجبهة العراقية فهزم جيش الفرس في معركة المزار شمال البصرة ١ ثم انتصر علي عند ملتقى القرات بالدجلة ، و بن الوليد يعطى الأمان للفلاحين وفورا كانوا يعلنون إسلامهم ؛ كما انتصر على الفرس عند بلدة اليس ، واكمل فتح الحيرة كلها واستولى عليها ، وأعطى الأمان لأهلها الذين دخلوا الإسلام ، وبذلك يكون تم فتح العراق ووجه المسلمون أنظارهم إلى بلاد فارس نفسها.

فتح الشام :

وجه المسلمون أنظارهم صوب بلاد الشام بعد العراق مباشرة ، وكانت الشام تتبع الحكم البيزنطي ؛ وحدثت صحة كبرى ببلاد الشام من أثر سماعهم بانتصارات المسلمين بالعراق وعن شجاعة القادة المسلمين أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم ، كمان معظم القائل العرب التي سكنت بلاد الشام كانت تميل إلى غرب الجزيرة العربية ضد الروم ، بالإضافة إلى أن سكان الشام كانوا يعتنقون الديانة المسيحية على مذهب مخالف لمذهب الإمبراطور ، وكانت أهم مذاهبهم المارونية في شمال الشام ، واليعقوبية في الجنوب)، كما أنهم عرفوا الرهينة ، والتي انتقلت إليهم من مصر ولذلك انتشرت الأميرة والديارات بالشام، وكانت اشتباكات المسلمين مع الروم منذ معركة مؤتة ثم حملة أسامة بن

زيد ، وكانت كلها حملات لإخضاع العرب في شمال الحجاز وترهيب
حكامهم الروم.

وفي مطلع سنة ١٣هـ / ٦٣٣م جمع أبو بكر الصديق عرب
الجزيرة واستنفرهم لقتال الروم بالشام ؛ فنهض إليه القائد عكرمة بن
أبي جهل ، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن ابي
سفيان ؛ وأرسل أبو بكر القادة الثلاثة عمرو وشرحبيل ويزيد نحو سلام
الشام وعبر طرق مختلفة، وكل واحد منهم على رأس جيش عربي جرار
؛ واشتبكوا مع العرب المنتصرة في جنوب الشام ، لكنهم انتصروا
عليهم ؛ وأرسل لهم أبو بكر جيشا رابعا بقيادة أبو عبيدة بن الجراح ،
والذي عرف عند العرب باسم أمير الأمة أو واتجه بجيشه نحو شبه
دمشق.

وعندما علم أبو بكر محشود الروم الكبيرة ، أرسل إلى خالد بن
الوليد بجبهة العراق ، وأمره بالسير عبر الشام وأمر له القيادة على كل
جيوش المسلمين بالشام ، ولذلك سارع خالد بن الوليد بترك الجبهة
العراقية القادة المسلمين الآخرين ، وأسرع نحو بلاد الشام و استولى في
العرق على الكثير من الحصون والمدن والقرى التابعة للروم" ، وظهر
بأقصى سرعة أمام مدينة دمشق ، واطهر براعة حربية فلكة ، خالد بن
الوليد، إذ انه عطش الأبل وسقاها الماء ، وفي الطريق الذي سلكه لم
يكن به ماء ، ان وصل إلى منطقة ليست به ماء ، ذبح الإبل وشرب

جيشه من مائها وأطعم من لحمها، وعدد وصل بجوده إلى منطقة تقع بالعرب من الرسالة مر فلسطين أو اتسع في هذه المنطقة وكان عندهم حوالي ثلاثين ألف جندي ، وهم في أشد الحماس والشوق لقتال الروم والاستشهاد في سبيل الله .

كان عدد الجيش الروماني أكثر من مائة ألف مقاتل تحت قيادة يتودور (أخو الإمبراطور هرقل) ، وبالإضافة إلى كافة قبل العرب التي انضمت إلى الدور الروم والتي كانت ببلاد الشام ، ودارت المعركة في أجنادين بين طرفين غير متكافئين في العدد والعقد ، ولكن الله ينصر من ينصره او حمى وطيس المعركة وأستبسل العرب في قتال تحت قيادة خالد بن الوليد وأنجلت المعركة عن نصر حاسم للفئة القليلة على الفئة الكثيرة ، وذلك على قتل من الروم حوالي خمسين ألف جندي ! وكان هذا النصر العظيم من أعظم معارك الإسلام الكبرى مع الروم من ظهور الإسلام، وهذا شجع العرب ورحوا في الشام في سبيل الحب عند الروم ، ومنهم من قطن بلاد الشام وقام فيها نهائي بدافع الجهاد و مات أبو بكر الصديق في ٢٢ جمادى الأخرى سنة ١٣هـ / ١٣٤م ، بعد سماعه النبأ العظيم وانتصار أجنادين. وهي المسلمون حيرة في سبيل الجهاد.

(٢) **خلافة عمر بن الخطاب ١٣-٢٣ هـ / ٦٣٣-٦٤٤ م :**

أوصى الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه عندما مرض وأحس بدنو أجله ، فأوصى باختيار عمرو بن الخطاب للخلافة بعد رحيله ؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان شديدا في غير عنف و ليناً في غير ضعف ، وهو الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام " اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين ، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام ، وانتشار فيها كثيرا من الصحابة والذين أقروا على عرى طاب ؛ وقد دعا أبو بكر عثمان بن عفان وإسلام كتابا يتعهد فيه عمر بن الخطاب بالخلافة من بعده ومنه " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عد آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، إلى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فان بر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه ، وعن جار ويسدل فلا علم لي ، الغيب والحبر أردت ولكل أمره ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم بايع المسلمون عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وخطب في الناس خطبة موجزة دلت على عبقريته وحسن كياسته وتقديره للأمور قال فيها " فاتقوا الله عاد الله وأعينوني على انفسكم بكفها على ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضار النصيحة فيما ولأنى الله من

أمركم ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم " ، ثم لقب بخليفة خليفة رسول الله ، ثم تسمى بلطيفة فقط ، والمسرد باسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أيضا ، وكان الصحابة والمسلمون بالون عمر سد اللقب ، وكل عمر أول من تلف به وتوارثه من بعده الخلفاء ، لا يشاركونهم فيه أحد ، وعمر بن الخطاب يعتبر صاحب العصر الذهبي للإسلام ، ولم تحدث في تاريخ الإسلام إلى عهد عمر ما يحقق في الفتوحات الإسلامية.

اشتهر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالتواضع ولم يضع نفسه في منزلة أكبر من رعيته ، فكان بيته مثل بيوت اقل المسلمين معيشة ، وكان يقول بنس الوالي انا في شبع وجاع الناس حتى أصح مضرب الأمثال الناس في العدل والمساواة بين الرعية ، وكان لا يخاف في الحق لومة لائم" ، وكان يختار عماله وولاته على الأقاليم من العباد والزهاد في الدنيا ، وكان بأمر عماله إذا قدموا إلى المدينة أن يدخلوها أثناء النهار حتى لا يخفى أحدهم شيئا من الناس ؛ وكان لا يعمل عاملا إلا إذا ثبتت خيانتة ؛ وكثيرا ما كان يصادر أوال هؤلاء الولاية إذا حصر ما عندهم من أموال وزاد عما كان عندهم قبيل توليه الولاية وكان ينظر إلى الهدايا التي تقدم إلى العمال بأنها نوع من الرشوة ، وكان طبق ذلك الرسول عليه السلام ، كما طبق مبدأ من أين لك هذا اوسار على الشريعة الإسلامية.

وكان عمر بن الخطاب له عيون ومفتشين بالأقاليم يراقبون الولاية والعمال ويرسلون له بأحوالهم ، ولكن يخرج بنفسه براب الناس في المدينة السورة ، كما خرج إلى الشام ثلاث مرات ليراب عمالها كما أنام حكمه على الشورى مثل أبي بكر تماما ، وكان يشاور من مختلف الأمور على بن ابى طالب وعثمان بن عان وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم ، وكان بنفسه انت من كافة الناس . وحاول عمر بن الخطاب تحميد مهور النساء وخطب في الناس باسكو فردت عليه امرأة وقالت : الصدق يا عمر ام تصدق قول الله تعالى " وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا " ، ولذلك رجع عمر بن الخطاب عن تحديد المهور وقال " أصابت المرأة وأخطاء عمر " .

أما عن أهم أعمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكان أول أنشأ الدواوين ، وفصل سلطة القضاء عن سلطة الإدارة في الحكم ؛ لفصل قصد، المدينة عن سلطته ، ونصب أبي الدرداء قاصيا على المدينة ، ووضع قاضيا على مصر والشام والبصرة والكوفة ، وكانت أحكام القضاء لا ترد ، وكان القضاة يحكمون في الولاية والأمرء وزعماء العرب والقبائل، وتميزت أحكامهم بالعدل بين جميع طوائف الناس بدون تمييز.

ومن أهم أعمال عمر بن الخطاب تدوين الدواوين ، وذلك بعد اتساع نفوذ الدولة الإسلامية الناشئة ، وتعدد مرافقها ، وعرس سامان

الفارسي على الخليفة عمر أسماء ذوي العطاء وأمام كل اسم ما يستحقه من العطاء ، وكلف مجموعة من المسلمين بالإشراف على هذه الدواوين وكانت لغة هذه الدواوين الفارسية بالعراق ، والروسية ببلاد الشام والقبطية في مصر ، وظلت على هذا الحال إلى أن قام الخليفة عد الملك بن مروان بتعريب هذه الدواوين إلى اللغة العربية ؛ والى جالب هذا الديوان ، عمل عمر ديوانا آخر وهو ديوان الجلد وهو عربي النشاء وسجلت فيه أسماء المحاربين في الجيش الإسلامي وراتب كل منهم " .

وقام الخليفة عمر بن الخطاب أيضا بتنظيم بيت مال المسلمين وأفرد له السجلات المختلفة بعد أن اتسعت موارد المسلمين ، ووزع الأموال على المسلمين بالتساوي ورفض عملية توزيع الأموال السنين في الإسلام ؛ ولكنه في سنة ١٥ هـ جعل توزيع الأموال القرابة من النبي عليه السلام وأيضا حيث سبق في الإسلام ، وجعل العباس عم النبي أعلى منزلة في العطاء ففرض له خمسة وعشرين ألف من الدراهم ، وقيل أثنى عشر ألفا، وفرض لكل مسلم أشترك في غزوة بدر خمسة آلاف درهم ، وخص كل زوجة من زوجات الرسول عليه السلام عشرة آلاف درهم او فرض لأهل الحديبية أربعة آلاف درهما ، والذين دخلوا الإسلام بعد ذلك ثلاثة آلاف درهم ، وجعل خمسمائة درهم للنساء المقاتلين في غزوة بدر ، والدين من بعدهم أربعة آلاف درهم ، ثم استوت النساء في العطاء بعد

ذلك وفرض لكل أمراه مائة درهم ، وخصص للأولاد لكل منهم مائتي درهم.

أما من ناحية توزيع الغنائم فقسمت أخماسا فيها خمس لولي الأمر ، وأربعة أخماس للجند المسلم كما وزعتها الآية القرآنية " اعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ " ، أما الأرض فركها بلى أصحابها يزرعونها ويشفعون عنها الحراج وذلك لاستمرارية الدخل المالي في الإسلام ؛ كما نظم توزيع الصدقات بين المسلمين ؛ وراعي حقوق أهالي البلدان التي دخلت في زمرة الإسلام وكفل لها العدل والمساواة ، الأمر الذي جعل هؤلاء الناس يسارعون بالدخول في الإسلام وضرب أروع الأمثال في المساواة والعدل بين الناس أجمعين وكان يطبق كل المبادئ الإسلامية على نفسه أولاً ثم على الرعية وأطاعه الجند والمسلمين وكان قدوة حسنة في أحكام الدين والدنيا .

الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب :

أولا : فتوح المسلمين في الجبهة الفارسية :

(١) موقعة القادسية :

بعد أنتصار المسلمين في معركة البويب على الفرس ، جمع الفرس تعليم تحت قيادة يزيدجرد الثالث ، وصمم الفرس على طرد

العرب من العراق ، وسمع عمر بن الخطاب في اجتماع شمل الفرس فأعلن التعبئة العامة وأمر الناس بالاستتفار في سبيل الله ، و ارد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخرج بنفسه لقتال الفرس ولكن كبار الصحابة أشاروا عليه بعدم الخروج بنفسه ؛ وذلك أسند قيادة الجيش الإسلامي إلى سعد بن أبي وقاص ، والذي خرج على رأس عشرين ألف مقاتل ، ثم انضم إليه جيش المثني بن حارثة الشيباني و عنده ثمانى آلاف محارب، وكان المثني بن حارثة قد مات على أثر الجراح التي أصابته في معركة الجسر ؛ وانطلق سعد بن أبي وقاص نحو بلاد فارس.

أسند يزيد جرد الثالث قيادة الجيش الفارسي إلى رستم بن هرمز وكان من أعظم قادة الفارس خبرة وشجاعة حيث أنه قائدا بن قائد، فوصل رستم إلى القادسية ، وتقدم سعد بن أبي وقاص أيضا بعدما استولى على القرى التي صادفته حتى وصل القادسية ؛ وماطل الفرس في بدء المعركة حتى يشعر المسلمون بالملل ، ولكن المسلمون كانوا يزدادون كل يوم عن يوم بسبب الإمدادات التي كانت تأتي إليهم باستمرار من عمر بن الخطاب بالمدينة ومن قبائل العرب التي تطوعت في الدخول في المعركة بعد إسلامها ، واقتربت الجيوش من بعضها حتى لم يفصل بينها سوى ميل واحد ؛ ثم أرسل سعد الرسل إلى معسكر رستم للمفاوضات والتي استمرت لمدة شهر ، وعرض المسلمون عليهم الإسلام أو الجزية أو القتال ، ورفض الفرس ؛ وفشلت المفاوضات بين الفريقين.

واندلع القتال بين الجيشين في سنة ١٦هـ ؛ وكانت معركة شديدة استمرت حوالي ثلاثة أيام ، وأسفرت عن نصر حاسم للمسلمين على الفرس وقتل رستم القائد الفارسي في المعركة ، وفر رجال الفرس إلى بلادهم ، واستولى يعد بن أبي وقاص على العراق وأصبحت بلاد فارس مفتوحة أمامه ؛ وبعد ذلك تقدم جيش سعد بن أبي وقاص نحو المدائن العاصمة الفارسية وحاصروها شهرا وفر منها يزيدجرد الثالث داخل بلاد الفرس ؛ ودخل المسلمون المدائن ، واستخدم سعد ديوان كسرى للصلاة وصلى المسلمون أول صلاة جمعة بالمدائن في شهر صفر سنة ١٦هـ وحصل المسلمون على غنائم عظيمة من المدائن لا تعد ولا تحصى)، وفتح الله عليهم كنوز كسرى وأمواله وجواهره ؛ وأعتبرت القادسية من أعظم معارك التاريخ الإسلامي.

- معركة جلولاء :

بعدما استراح المسلمون بالمدائن ما يقرب من شهر ؛ فقد قام يزيدجرد الثالث بإعداد قواته وحشد جيشا كبيرا واستعد للهجوم على المسلمين يعني تخليص المدائن عاصمته من أيدي المسلمين ؛ ووجه سعد إلى جلولاء القائد هاشم بن عتبة ، واشتباك مع الفرس وانتصر عليهم واستولى على جلولاء في أواخر سنة ١٦هـ ؛ ثم تقدم هاشم بن عتبة واستولى على عدة حصول للمعرس ، وتقدم جيش إسلامي آخر وراء يزيدجرد الثالث بقيادة جرير البجلي الذي استولى على مدينة حلوان

ومعظم المدن التي حولها ؛ وفر منها يزدجرد إلى أصبهان وكان ذلك في سنة ١٩ هـ .

معركة نهاوند ٢١ هـ (فتح الفتوح) :

بلغ عمر بن الخطاب أن يزدجرة الثالث يقوم بدر كان من المدينة وحشد كبير للانتقام من العربية ، فقد عهد إلى القائد النعمان بن المقرن المزني بقيادة الجيش الإسلامي ، وأرسلت له الإمدادات من الكوفة والبصرة وقوات الفرس اجتمعت بنهاوند تحت قيادة مروان شاه بن هرمز ، وأشتبك مع المسلمين في معركة حامية كانت أعظم قوه من سابقتها، واستمرت المعركة عدة أيام متتالية وقتل فيها النعمان بن المقرن القائد العام للمسلمين ، فتولى القيادة الإسلامية حذيفة بن اليمان والذي أنهى المعركة بانتصار حاسم للمسلمين على الفرس ، واستيلائهم على نهاوند داخل بلاد فارس ، واستولى المسلمون على الحصون الفارسية والبلدان المجاورة واستمروا في الزحف داخل البلدان الفارسية، ودخلت مدن فارس صلحا مع المسلمين على أن يؤدوا الخراج والحريّة وكانت أهم هذه المدن الدينور وماسيزان والسيروان وغيرها من المدن و وفر يزدجرد الثالث بداخل بلاده خوفا من المسلمين . وواصل المسلمون انتصاراتهم على الفرس فتمكن جرير بن عبد الله البجلي من فتح همدان وصالح أهلها سنة ٢٣ هـ ، وفتح أبو الأشعري مدن قم وفاشان و أصبهان ، وواصل المسلمون توغلم في بلاد الشرق ، وقتل يزدجرد الثالث سنة

٣٠هـ بمدينة مرو ، مما أفقد الفرس أمنهم في المقاومة ضد المسلمين ، ودخلوا في الإسلام ، واستولى المسلمون على أصبهان، والري ، وأذربيجان ، وأستولى على خراسان وفتحوا هرة وبنسبور وطخارستان ، حتى أن المسلمون على فتوحاتهم كانوا يفرضون الخراج والجزية على هذه البلدان .

أضف إلى ذلك فقد فقام العرب في عهد عمر بن الخطاب بفتح مدن الجزيرة وهي شمال العراق والشام مثل مدينة سنجان وذلك سنة ١٨ هـ ، ودخلت الرها وسمبساط وحران صلحا مع المسلمين ، وافتتح أبو موسى الأشعري نصيبين سنة ١٩هـ وقرقياء ، وسنجان وميفارقين واستولى على آمد وماردين والرقعة وغيرها ؛ وأتم المسلمون الاستيلاء على عين الوردة بعد قتال عنيف ؛ ومدينة رأس العين ، وكان معظم هذه المدن يصلح المسلمون أهلها على الخراج والجزية ؛ وكلها كانت تابعة لإمبراطورية الروم ، بالإضافة إلى أرمينيا والتي تم فتحها خلال عهد عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) ، وقام بفتحها حبيب بن مسلمة الفهري والذي استولى على ثغر قالقيا ثم أسكن فيها ألف رجل من أهل الشام ، ثم استولى حبيب بن مسلمة على ديبل ومدن النشوى وجرذان وتقليس وساعده القائد سلمان بن ربيعة الباهلي في فتح باقي مدن أرمينيا.

ثانيا : فتوح المسلمين للشام ومصر والمغرب :

بعد انتصار العرب في أجنادين كما ذكرنا سنة ١٣ هـ ؛ وتوفى أيضا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وتولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتعرض للأحداث في جبهة الروم ؛ فذى سرعان ما عزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد من قيادة الجيش في الشام وقام بتتصيب أبا عبيدة بن الجراح مكانه ؛ وأذعن خالد لأوامر الخليفة عمر وسرد المؤرخون القدامى والمحدثون أقوالا كثيرة في أسباب عزل عمر لخالد ولا نريد الخوض في أحداث تبعدنا عن الفتوحات الإسلامية ، فعمل خالد كجندي تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح القائد الجديد وصرب أروع المثال في طاعة أولى الأمر ؛ واستمر بقاتل مع الجيش الإسلامي بالشام ، حتى مات بمدينة حمص سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، وذكر الدكتور عبد المنعم ماجد بأن خالد بن الوليد لم يأت التاريخ بمثله منذ عهد الإسكندر الأكبر ، وأبح اسمه على القوة والبطولة ويروع به الأعداء عند سماع ذكره.

وعلى الرغم من ذلك سارع العرب نحو امتلاك مدن وضواحي بلاد الشام بعد معركة أجنادين مباشرة ، فنجد يتجه أبو عبيدة وخالد نحو دمشق ، وعمرو بن العاص نحو فلسطين ، وشرحبيل بن حسنة نحو الأردن ، ويزيد بن أبي سفيان نحو السواحل ؛ واشتباك مع جيوش الروم

في عدة معارك انتصر فيها المسلمون مثل معركة فحل ومرج الصفر في المحرم سنة ١٤ هـ ؛ وحاصر العرب بعدها دمشق ثم استولوا عليها ، وعلى مناطق الشام الشمالية.

معركة اليرموك :

أنزعج هرقل إمبراطور الروم عندما سمع عن انتصارات العرب المستمرة ووصولهم في وقت سريع جبال طوروس واستيلائهم على المدن الرومانية الواحد تلو الأخرى ، ولذلك جند جيشا كبيرا لعمل معركة فاصلة بينه وبين المسلمين على أرض الشام ؛ فجند الرومان وعرب الشام وأهل الجزيرة وأرمينيا والصقلية والروس والأرمن وعرب الغساسنة ، وأقبل الروم على العرب في جحافل مثل الجراد بقيادة باهان ، وذكر ابن خلدون أن عددهم أربعمئة ألف جندي ، وذكر ابن الأثير أن عددهم أكثر من مائتي ألف جندي ؛ وذكر البلاذري أن عددهم مائتان وأربعون ألفا من الجنود، وهذا أعاد العرب لأهل الشام الأموال التي حصلوها منهم وخرجوا من دمشق بعدما دخلوها صلحا واجتمع العرب واعدوا الجيش للقاء العدو ، والتقى الفريقان في أرض المعركة وهي حوض نهر اليرموك في ١٢ جمادي الآخر سنة ١٥ هـ الموافق ٢٣ يوليو سنة ٦٣٦ م ؛ واستمرت حتى انجلت عن نصر حاسم للمسلمين ، ولما بلغ ذلك هرقل قال " سلام عليك يا سور يا سلام لا التقاء بعده أبدا " .

وعندئذ رجع العرب ودخلوا المدن التي تركوها استعدادا للروم فدخلوا دمشق ورحب أهلها بهم ؛ وشرط حاكم القدس تسليمها إلى عمر بن الخطاب نفسه وقدم عمر واستلمها سنة ١٧هـ — ٦٣٨م ، وأعطى الأمان للنصارى فيها وصلى ركعتين على الصخرة المقدسة ، وجعل بطركها اليوناني سفر بنوس على كنيستها كما كان الأمر من قبل ؛ وعقد عمر بن الخطاب مؤتمرا مع قاداته في الجابية سنة ١٨هـ — ٦٣٩م ؛ وحدث في نفس العام طاعون عمواس - إحدى قرى فلسطين - ومات فيها كبار القادة المسلمين بالشام ومنهم أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، وتولى معاوية الشام من بعد موتهم استطاع السيطرة على المدن الساحلية وتم للمسلمين الاستيلاء كليا على أرض الشام.

فتح مصر والمغرب

أولا : أحوال مصر قبيل الفتح العربي الإسلامي

كانت مصر تمثل إحدى الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وذلك خلال القرن السابع الميلادي ، وأن المتأمل السارية لتاريخ مصر الطويل قبيل هذه الفترة يجد مصر تقع فريسة لدولة البطالمة ثم الدولة الرومانية من بعدها إلى أن آلت إلى الإمبراطورية البيزنطية ، و المتأمل لتاريخ مصر خلال تاريخها العريق قبل النوم لبعدها تموج بتيارات

استعمارية المقصود منها استنزاف خيرات مصر مقسم ويل وذل ،
وتدهور أحوالها على كافة أنشطة الحياة العامة رات لها ونستعرض
الأحوال الدينية فيها ، فقد عرفت مصر المسيحية منذ القرن الأول
الميلادي ، وانتشرت المسيحية بكل أنحاء مصر خلال القرنين الثاني
والثالث الميلاديين ، الأمر الذي جعل أباطرة الروم الوثنيين يضطهدون
الشعب المصري وذلك ابتداء من عهد الإمبراطور سفيرنيوس (١٩٣-
٢١١م) الذي قام بحملات واسعة ضد المسيحيين والمسيحية في كل
أرجاء الإمبراطورية.

ولزم المصريين إلى تقديم القرابين إلى الآلهة الوثنية وذلك للتأكد
من رجوعهم عن اعتناق الديانة المسيحية".

واستمرت هذه الأوضاع من اضطهاد للمصريين على ولي
الإمبراطورية الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) الذي ضرب ابشع
الأمثلة في اضطهاد المسيحيين عامة ، والمصريين خاصة، الأمر الذي
جعل الكنيسة المصرية تبدأ تقويمها المعروف بالتقويم القبطي أو تقويم
الشهداء بالسنة الأولى من حكم الإمبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤م .

واعترف الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) بأن
المسيحية إحدى الديانات التابعة للإمبراطورية البيزنطية بعد أن أظهر
احترامه لهذه الديانة الجديدة ، ثم اعترف بها الإمبراطور ثبروثيوس
العظيم ديناً رسمياً للإمبراطورية سنة ٣٩٢م ، أعلن هذا الإمبراطور

تحريم عبادة الأوثان داخل الإمبراطورية"، وتنفس المسيحيون الصعداء ، ولكن ثار الجدل والنزاع حول طبيعة المسيح ، واتخذ اغلب الأباطرة سياسة منافية لسياسة المصريين حول المسيح وطبيعته ولذلك اشدت النزاع مرة أخرى بين الأباطرة والمصريين .

وتمسكت كنيسة الإسكندرية منذ منتصف القرن الخامس الميلادي وكان مبدؤها بأن للمسيح طبيعة واحدة ، إما كنيسة القسطنطينية فقد كان مبدؤها بأن للمسيح طبيعتين ، ومن جراء ذلك جاء مؤتمر خلقدونية بأسيا الصغرى (٤٥١م) وأيد مبدأ الطبيعتين وقرر ان مذهب الطبيعة الواحدة ضربا من ضروب الكفر والإلحاد.

عارض الشعب المصري قرارات مؤتمر خلقدونية ، وأطلقوا على أنفسهم "الأرثوذكسيين" بمعنى أنهم أتباع الديانة الحقّة ، أما أتباع الكنيسة البيزنطية فاتخذوا لقب الملكانيين وذلك لموافقتهم مذهب الإمبراطور القائل بالطبيعتين للمسيح.

وتعرض المصريون للاضطهاد الديني مرة أخرى من قبل الأباطرة البيزنطيين وذلك لمعارضتهم المذهب الإمبراطوري ، قاوم المصريون هذا الاضطهاد بالهروب إلى المعابد والأديرة بالجبال والصحراء وتركوا حقولهم ومنازلهم وقراهم ، ثم حل هرقل إمبراطورا للإمبراطورية البيزنطية سنة ٦١٠ م ، ووضع المصريون آمالهم على الإمبراطور هرقل لتخليصهم من هذا الاضطهاد ، إلا أن الفرس استولوا

على مصر سنة ٦١٠م وتركوا المصريين في حرية دينية عظيمة طوال فترة حكمهم لمصر ، إلا أن هرقل تمكن من طردهم من مصر سنة ٦٢٩م.

واستعمل هرقل الاضطهاد الديني على عاتق المصريين الذين لم يوافقوا على تعليمات هرقل بشأن طبيعة المسيح، واستعمل قيرس (المقوقس) اشد أنواع التعذيب والتتكيل ضد المصريين ولمدة عشر سنوات متتالية ذاق المصريون البشع أنواع التعذيب و الاضطهاد و هرب البطرق بنيامين إلى الصحراء و معه المصريون وانتشرت الفتن والفوضى في ربوع مصر .

جاهد الحاكم البيزنطي قيرس لجمع المصريين بكل أنواع التهديد والتتكيل تارة والتودد للمصريين تارة أخرى ، وذلك لضم المصريين إلى مذهب الإمبراطورية ولكن جهوده باءت بالفشل ! وتمسك المصريون بمذهبهم الديني وأعلنوا العصيان على هرقل والمقوقس - وظهرت مصر بقوميتها ودينها الخاص بها وشخصيتها الفريدة خلال الاضطهاد الديني ، والذي فشل في إخضاع المصريين لمذهب الإمبراطور ؛ وقد أزال المقوقس كل الصلات بـ المصريين البيزنطيين وتطلع المصريين اخلاص من الحكومة البيزنطية ؛ الأمر الذي مهد السبيل للفتح الإسلامي . أما الأحوال الاجتماعية فكانت من أهم العوامل التي عن أسرعت بالقضاء على الحكم البيزنطي ، فقد كان الشعب المصري يمر بأحوال

اجتماعية في غاية القسوة والظلم ؛ فتجد الإسكندرية كانت مدينة يونانية غريبة عن الشعب المصري واختلفت تماما عن طباع المصريين ، كما اشتهرت بالبذخ والثراء والترف ، وكانت على العكس تماما عن بقية بلدان مصر ، وقراها التي كانت تحت وطأة أسر قوية وبقية الزراع من الشعب المصري بمثابة رقيق أو أقتان ، وأصبح المصريون غرباء في أرضهم يقدمون خيراتها لمستعمرهم تحت وطأة الظلم والقمع والطغيان.

كما أظهر البيزنطيون ورجال جيشهم تصالفا عظيما في جمع الأموال من الشعب المصري بحجة الضرائب وجمعها بالقوة والسوط ، كما سيطر التجار الروم واليهود على التجارة المصرية مستغلين سطوة هؤلاء الجنود البيزنطيين وقضوا على منافسة التجار المصريين لهم بالفزع والجبروت وبذلك كسدت التجارة المصرية وتوقفت الأرض على العطاء ، وانتشر المرض والوباء بالديار المصرية ، وعلى الرغم من ذلك ظهرت الروح المصرية القوية وازدهرت اللغة القبطية وزاحمت اللغة اليونانية، وتمسك المصريون بها على الرغم من الشدة والاضطهاد. ومن جهة الأوضاع الاقتصادية فكانت على درجة كبيرة من الفساد والتدهور ، فقد وضع الرومان والبيزنطيون مصر كسلة تمدهم بالخبز والقوت ، وحرص البيزنطيون على المحافظة على هذه الهبة وكانت علاقتهم بمصر علاقة استعمارية بحتة ، فقد استعملوا كافة الوسائل لتعويض مصالح المصريين ، بل سيروها لصالحهم فقط ،

واستعملوا كل الوسائل للسيطرة على موارد مصر ، واستعملوا ابشع أنواع التنكيل بالفلاحين ي لتحصيل الضرائب ؛ وذهب الفلاح المصري لوضع نفسه تحت حماية أمير من الأمراء البيزنطيين أملا في النجاة ولكن دون جدوى . إذ بمرور الزمن أصبحت الأرض ملكا للأمير وصار المصري رقيقا أو قتا ؛ وأصبحت أرض مصر خلال القرن السابع الميلادي اشبه بنظام الإقطاع ؛ وقد قسم البيزنطيون مصر إلى خمسة أقسام إدارية كبرى لسرعة وإحكام السيطرة عليها وهي : الإسكندرية وشرق الدلتا وغرب الدلتا ومصر الوسطى ومصر العليا ؛ وكان يحكم كل إقليم حاكم يعرف بالدوق يجمع بين يديه الحكم العسكري والمدني وتحت نفوذه القضاء والشرطة والادارة أيضا ؛ وهذا النظام أدى إلى احكام السيطرة على المصريين ومواردهم ، مما أدى إلى هروب الشعب المصري وتشنتته من ظلم وجور البيزنطيين ؛ وكان ينظر الخلاص من الله على يد قوة أخرى أقوى من البيزنطيين ، فكان ينظر إلى الفرس ؛ ولكن الله أراد في خلاصه على يد قوة العرب المسلمين .

ولا شك أن الناحية العسكرية أو الحربية لمصر في هذه الأمة كانت موزعة على كل إقليم ، فكان لكل دوق أو حاكم فرقته العسكرية الخاصة به ، ويدافع عن منطقته أو إقليمه فقط ، ودخل هذا الجيش كثير من المصريين المجندين في كل إقليم ، وذلك بعد أن سمحت السلطات البيزنطية للمصريين بالانخراط في سلك الجندية كل حسب إقليمه ،

وكانوا يجندون بالاقتراع أو التطوع أو الوراثة ، وكان جيشا مهملا التدريب لأن أفراد الجيش كان يسمح لهم بالاشتغال في الحرف والاعمال اليومية بجانب الجنديّة ؛ ولذلك ضاعت الناحية الحربية بسبب كثرة الفرق العسكرية وعدم لائها للروم ، وعدم ارتباطه بقائد معين ، ولذلك سهل الأمر على العرب عندما فتحوا مصر سنة ٦٤٢هـ/٦٤٢م.

ثانيا : أحداث الفتح الاسلامي العربي لمصر :-

ظهرت الدعوة الاسلامية على يد محمد صلى الله عليه وسلم وقام بالهجرة من مكة إلى المدينة ، واستطاع أن يوطد أركان هذه الدعوة بالمدينة المنورة في خلال الخمسة أعوام الأولى من هجرته وأن يجمع المسلمين تحت لواء الاسلام ؛ واستطاع أن يعقد صلحا مع قريش في مكة يسمى بصلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ؛ وقد أفسح هذا الصلح المجال للنبي عليه السلام أن يبعث بسفاراته إلى رؤساء وامراء وملوك العالم يدعوهم إلى الاسلام ، فبعث الصحابي حاطب بن ابي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر ؛ وشجاع بن وهب الاسدي إلى كسرى ؛ وبعث بديحة بن خليفة إلى قصير ، وعمرو بن العاصي إلى أميري عمان . وقد غادرت سفارة حاطب بن أبي بلتعة المدينة في ذي الحجة سنة ٦هـ ، ووصلت مصر سنة ٧هـ/٦٢٩م ، وهنا احسن المقوقس مقابلة هذه السفارة مثلما احسن هرقل لقاء دحية بن خليفة ؛ ورد المقوقس هذه السفارة إلى النبي عليه السلام بأحسن رد وأهداه بهدايا منها بعض العسل

(من انتاج بنها) ، وثياب القباطي ؛ كما أرسل إحدى النساء ماريما القبطية هدية إلى النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وتركت هذه السفارة رابطة بين مصر والعرب ، ومهدت للفتح العربي الإسلامي لمصر . وتناقل الرواة الأحاديث النبوية التي أشار فيها الرسول عليه السلام إلى أن الله عز وجل سوف يمكن المسلمين من فتح مصر ، وبعض الأحاديث بوصيته عليه السلام بأهل مصر خيرا ، "وأن لأهلها ذمة ورحمة" ؛ حيث أن أم اسماعيل بن إبراهيم "هاجر" من مصر ، "مارية" زوج النبي من مصر أيضا ؛ ومن أهم أحاديث الرسول عليه السلام بالوصية على أهل مصر "إذ فتح الله عليكم فاتخذوا منها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض". فقال أبو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة" ؛ وهناك احاديث كثيرة في ذلك الشأن .

أضف إلى ذلك معرفة كثير من الصحابة بأمر مصر ، لخروجهم إليها بقصد التجارة ومنهم عمرو بن العاص الذي كان يأتي إلى مصر للتجارة ، وكان أيضا يقابل تجار مصر في بلاد الشام أثناء رحلة الصيف في فلسطين ؛ وروى بن عبد الحكم رواية تتعلق بعمرو بن العاص قبل ظهور الاسلام ؛ إذ أنه كان بيت المقدس وأنه تصادق مع أحد رجال الدين المصريين بعدما قدم له عمرو بن العاص بعض الخدمات الجليية ؛ فدعاه المصري لزيارة مصر ليرد له بعض من جمائله ، ووصف له خيرات مصر وثرانها وروعة أهلها .

وتشوق عمرو لرؤية مصر فذهب مع الرجل إلى مصر الرجل باطلاع عمرو على معالم مصر وقوتها ؛ ثم دعاه إلى الإسكندرية وهي عاصمة مصر آنذاك .. وذلك لحضور حفلا سنويا يقام بجيتزيوم المدينة ، فكان يقوم أبناء عليه القوم في آخر الحفل بإلقاء كرة ذهبية إلى المشاهدين أو الجماهير ، ومن تقع في حجرة الكرة ، فكان يستبشر بأنه سيكون حاكم مصر في المستقبل ؛ وفي نهاية الحفل ، وقذف أحد الشباب الكرة فإذا هي تقع في حجر عمرو بن العاص ، ودهشة المصريين ، وقالوا : ما كذبتنا الكرة قط إلا هذه المرة ، وأستبعد الجميع أن هذا العربي يحكم مصر .

ونترك جانب الروايات والتوقعات ونفضل لأحداث الفتح العربي لمصر الحقيقية ؛ فعندما توفي النبي عليه السلام ، وتولي الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، قام بفتح بلاد الشام وأرسل أربعة جيوش لهذا الغرض ؛ وكان من أهم قادة هذه الجيوش القائد عمرو بن العاص الذي التقى بالقائد البيزنطي الأرطبون . استطاع القادة العرب أن يحققوا نصرا مجيدا على الروم في أجنادين ؛ وفر الأربطون إلى مصر ليعيد أوراغ قواته استعدادا لمجابهة المسلمين .

وقام (صفرونيوس) بطريق بيت المقدس بتسليم المدينة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي أمنه على ماله وروحه وعامة المسيحيين ؛ وهنا اجتمع عمرو بن العاص مع الخليفة عمر بن الخطاب بمنطقة الجابية بالقرب من دمشق وتقع على مرتفعات الجولان

الآن ، وذلك قبل ذهاب عمرو بن الخطاب إلى بيت المقدس واستلام المدينة من البطريق صفرونيوس ؛ وقام عمرو بن العاص بتوضيح ضرورة فتح مصر وخاصة أن ارطوبون الروم قد ذهب إلى مصر ويدبر المتاعب الحربية للعرب ؛ بالإضافة إلى خطورة تجمع الروم بمصر وأهميتها الحيوية بالمسبة للروم ، فكانت المخزن الروماني الذي يمدهم بالغلل ؛ وأن استيلاء المسلمين على مصر سوف يضرب أهم عون للبيزنطيين في منطقة الشرق العامة .

أعلن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه موافقته على فتح مصر أمر عمرو بن العاص بأربعة آلاف جندي عربي وقال له "أني مرسل لك كتابا فإن إدراكك وأمرتك فيه بالانصراف فيه عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فأنصرف وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فأمض لوجهك وأستعن بالله واستنصره" ؛ وسار عمرو بن العاص إلى مصر سنة ١٨هـ / ٦٣٩م ووصل العريش ومنها إلى الفرما (شرقي بور سعيد الحالية) ؛ ويقال أن كتاب عمر بن الخطاب وصل عمرو بن العاص وهو برفح فلم يتسلمه من الرسول حتى قرب العريش فأخذ الكتاب وقرأه على جيشه وأمرهم بمواصلة فتح مصر.

لقي عمرو بن العاص مقاومة في مدينة الفرما من الجنود البيزنطيين استوقفته شهرا ولكنه هزمهم في سنة ١٩هـ / ٦٤٠م ؛ ثم زحف نحو بلبيس ففتحها بعد شهرين من المقاومة أيضا ؛ وذكر

المؤرخون أن ابنة المقوقس حاكم مصر البيزنطي كانت موجودة في مدينة بلبيس وقبض عليها عمرو بن العاص ولكنه أعادها إلى أبيها بعد أن أكرمها الأمر الذي أدى إلى إعجاب القبط بعمرو بن العاص ثم تقدم عمرو بن العاص أم دنين (تقع شمال حصن بابلين) ، حيث نشب قتال شديد بين العرب والروم ، وأرغمهم عمرو علي التحصن بحصن بابلين . وكانت بابلين من أعظم مراكز مصر وذلك لموقعها على رأس الدلتا وكونها على الطريق الموصل إلى مدينة الاسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت ؛ ولذلك طلب عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب العون العسكري ، فأرسل له أربعة آلاف جندي يقودهم أربعة هم : الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد والمقداد بن الأسود ، ويقال أن العون بلغ اثنا عشر ألف رجلا ؛ واستطاع العرب بعد معارك شديدة وحروب متكررة ، وحاصر العرب بضعة شهور وحدثت مفاوضات بين الفريقين ؛ وأصر العرب على دخول الروم في الإسلام أو دفع فدية الجزية أو القتال ؛ رفض الروم ذلك واستؤنف القتال واستبسل الزبير بن العوام في فتح حصن بابلين بشجاعة فائقة ؛ حتى وافق الروم على الصلح ودفع الجزية ؛ وتم عقد معاهدة بين الروم والعرب أجازها الخليفة عمر بن الخطاب وأهم شروط هذا الصلح هي :-

١- أن يدفع كل قبضي للعرب دينارين ويعفى منها النساء والأطفال والشيوخ .

٢- للعرب المسلمين حق الضيافة على المصريين لمدة ثلاثة أيام عندما ينزل المسلمين عليهم .

٣- تبقى للروم أرضهم وأموالهم وتعهد المسلمون بالمحافظة عليها .

وعندما أبلغ المقوقس حاكم مصر شروط هذا الصلح إلى الإمبراطور البيزنطي رفضها رفضاً تاماً واعتبرها مهانة في حق الإمبراطورية البيزنطية التي لم تعهد مثل هذا الصلح مع الشعوب التي حاربتها ، بل وبخ المقوقس علي قبوله للصلح ؛ وأمره بقتال العرب فوراً ؛ ولكن المقوقس رأى المسلمين قد استولوا على الحصن ، وقام القائد العربي عمرو بن العاص بالمسير نحو عاصمة مصر الإسكندرية قاصداً الاستيلاء عليها ؛ وأنه استولى على منطقة عين شمس وأشرف على المنطقة الشرقية من مصر السفلى ، واستطاع أن يشرف على السفن والبضائع التي تنقل بالليل إليها ، وقام عمرو بفتح بلاد الطرافة ونقيوس وكوم شريك وسفطيس والكربون ؛ وفرت الحامية الرومانية من هذه البلدان إلى الإسكندرية بعدنا تركوها العرب .

وصل العرب أسوار مدينة الإسكندرية بعدما فتحوا منطقة غرب الدلتا واستولوا عليها ؛ كان المقوقس داخل المدينة ومعه كبار القادة الروم ؛ واحكم عمرو بن العاص الحصار على الإسكندرية ؛ وكان البيزنطيون يعلمون مدى أهمية هذه المدينة التجارية والحربية والبحرية حتى قيل أن هرقل إمبراطور الروم أراد الخروج بنفسه لحرب المسلمين بالإسكندرية

ولكنه مات في ١١ فبراير سنة ٦٤١م الموافق ٢٠ هـ. استبسل الروم في الدفاع عن المدينة الأمر الذي جعل المسلمين يحاصرونها أربعة عشر شهرا مما أقلق الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجيش العربي ؛ ولكن موت هرقل وتولي العرش الإمبراطورية مارتينا زوجته وصية على ابنة الطفل هرقل التيوس ، وانقسام القادة بالمدينة على أنفسهم ؛ وفضل الكثير منهم الصلح مع المسلمين وعلى رأسهم المقوقس الذي له دراية بقوة المسلمين وشدة بأسهم ؛ ولذلك رافقت الإمبراطورة مارتين على الصلح مع العرب ، حتي تنفرغ لإخماد الفتنة الداخلية والنزاع علي عرش الإمبراطورية بالقسطنطينية .

طلب قيرس الصلح من عمرو بن العاص بعد أن ذهب إلى بابلون ، ولذلك عرفت هذه المعاهدة بمعاهدة بابلون الثانية تمييزا لها عن المعاهدة الأولى التي لم تتم ؛ وايضا أطلق على هذه المعاهدة الثانية معاهدة الإسكندرية لأنها كانت تخص قادة وشعب الإسكندرية ؛ وعقدت هذه المعاهدة في نوفمبر سنة ٢٠ هـ / ٦٤١م ؛ وأهم بنوده هذه الاتفاقية ما يلي :

١- أن يدفع كل قبطي جزية قدرها دينارين مع إعفاء غير القادرين على الكسب من الشيوخ والنساء والاطفال .

٢- مدة الهدنة إحدى عشر شهرا

٣- أن يكف العرب والروم عن القتال

٤- أن يحترم العرب الكنائس والطقوس المسيحية

٥- أن يبقى اليهود في الإسكندرية

٦- ألا يحاول الروم استرداد مصر أو الهجوم عليها

٧- أن يحافظ المسلمون رهائن من الروم عدد ١٥٠ جنديا و ٥٠ مدنيا

٨- أن يرحل الروم عن مصر بأموالهم وممتلكاتهم .

ومن ذلك الوقت أصبحت مصر ولاية إسلامية عربية تابعة للدولة العربية بالمدينة المنورة وانسلخت عن الدولة البيزنطية والقسطنطينية ؛ واصبح عمرو بن العاص أول والي عربي مسلم عليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ورحب الأقباط المصريون بالحكم العربي الجديد ، لمصر بعد كرهوا الرومان الذين استغلوا مصر أسوأ استغلال وتعالوا على المصريين ، ووقف اليهود على الحياد بين العرب والروم ، ولذلك تركهم عمرو بن العاص يقيمون بالإسكندرية في سلام وأمان .

وأحسن المسلمون معاملة الأقباط كما احسنوا معاملة المسيحيين ببلاد الشام وفلسطين ؛ وبالتالي رحب هؤلاء بقدوم العرب المسلمين إلى مصر ، وذكر ابن عبد الحكم صورا كثيرة لترحاب القبط بالعرب ومنها أن أسقف مدينة الإسكندرية بنيامين عندما علم بقدوم العرب إلى مصر لفتحها كتب إلى القبط يأمرهم بحسن التعاون مع القائد العربي عمرو بن العاص وأن الروم قد أنقطع ملكهم على مصر ؛ تعاونوا مع عمرو في

الفرما ؛ وأن القبط الذين كانوا بحصن بابلون خرجوا مع عمرو بن العاص عندما ذهب لفتح الإسكندرية وقاموا بإصلاح الطرق والجسور والأسواق منهم من كان يدلّه على اقرب وأفضل الطرق نحو الإسكندرية . وكان من أهم عوامل نصر العرب على الروم وتمكنهم من فتح مصر هو تصميم القبائل العربية التي خرجت من الحجاز لنشر الإسلام وكانت بمثابة كتائب بهذا الجيش ؛ بالإضافة إلى ترحيب أهالي مصر بالعرب من أثر اضطهاد الروم لهم ؛ وتفكك إمبراطورية الروم وأخر أيام هرقل ، وتفوق العرب في القتال والرماية وحبهم للقتال والفروسية بعكس الروم الذين يميلون إلى الدعة والسكون ؛ أضف إلى ذلك كتب عمرو بن العاص للأقباط عهدا حماية كنيساتهم ، وكتب أمان للبطريق بنيامين وأعطى له وظيفته مرة أخرى بعد أن نفاه الروم ثلاث عشر سنة واستقبله عمر استقبالا رائعا بعد عودته إلى الإسكندرية ؛ وترك العرب الأرض للمصريين وتعهدوا لهم بالحماية وترك العرب الأرض للمصريين وتعهدوا بالحماية واهتموا بمشاريع الري ونظموا القضاء والضرائب وبنوا مقاييس على النيل ؛ ودفعوا الظلم البيزنطي عن كاهل القبط : وأطلقوا لهم الحرية الدينية .

أمتد نفوذ العرب بعد سقوط الإسكندرية نحو داخل مصر وسائر مدنها ، بل مدوا نفوذهم نحو برقه لتأمين مركزهم في مصر ؛ فقام عمرو بن العاص بالمسير إلى برقة وفتحها وفرض على أهلها الجزية ؛ وفي

سنة ٢٢هـ تقدم عمرو نحو طرابلس وقبل إنه غزاها ٢٣هـ وفتحها ؛ أراد التقدم نحو بلاد المغرب ولكن الخليفة عمر بن الخطاب قد نهاه عن ذلك ؛ وبعث عمرو قائده عبد الله بن سعد لفتح بلاد النوبة وذلك لتأمين حدود مصر الجنوبية في سنة ٢١هـ ولكنه رجع دون أن يفتحها ؛ وعاود المحاولة سنة ٣١هـ وفتحها زمن الخليفة عثمان بن عفان ووصلت حملته مدينة دنقلة عاصمة بلاد النوبة ، وبعد قتال مرير عقدت هدنة بين المسلمين وملك النوبة عرفت بالبقط ؛ وكانت عبارة عن معاهدة تحدد المعاملات السياسية والاقتصادية بين العرب في مصر والنوبة المسيحية ، وأهم شروطها ألا يتعدى أي طرف على الآخر وأن يدفع النوبة إلى العرب حكام مصر عددا من الدقيق سنويا ، على أن تعطي مصر سنويا من القمح والعدس ومنتجات مصر كل عام .

عاود الروم الهجوم على مصر سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م ، فقد هاجموا مدينة الإسكندرية واستولوا عليهما وطردها الحامية العربية منها ؛ وكان ذلك خلال عهد الإمبراطور البيزنطي قيسطانز الثاني ٢١هـ (٦٤١) إلى (٦٦٨م) ؛ وكان الحاكم على مصر هو عبدالله بن سعد من قبل الخليفة عثمان بن عفان ؛ لذلك طلب أهل مصر من الخليفة سرعة ارسال عمرو بن العاص لطرده الروم من مصر ؛ وبالفعل وصل عمرو وهاجم الروم وأجلاهم عن الاسكندرية ورجعت مصر ومدينة الإسكندرية إلى المسلمين نهائيا . وهنا نعرض لموضوع أختلف فيه المؤرخون والرواة

والقدامى والمحدثون ألا وهو حريق مكتبة الإسكندرية ، وهو الحريق الذي شب أثناء حصار المسلمين للمدينة ؛ وأول من ذكر قصة الحريق مكتبة الإسكندرية هو المؤرخ عبداللطيف البغدادي صاحب كتاب "الإفادة والاعتبار" وذكر أن عمرا أخرج المكتبة بتصريح من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وزاد هذه القصة افتراءات وأباطيل مؤرخ آخر جاء بعد عبداللطيف البغدادي وأسمه أبو الفرج بن طيب يهودي اسمه قارون (هارون) وله كتاب باسم "تاريخ الدول" ، واتهم عمرو بن العاص أنه أحرق المكتبة ، ووزع كتبها على الحمامات في مدينة الإسكندرية لاستعمالها كوقود ؛ وكلها أباطيل واكاذيب غير منطقية لا يقبله العقل بالنسبة لعمرو بن العاص . أن هذه الاسطورة لا أساس لها من الصحة أو السند التاريخي ، فضلا عن إنكار التاريخ الحضاري للمسلمين لمثل هذا التصرف ؛ لأن المسلمين شجعوا العلم والعلماء من كافة الملل والأديان ؛ ولم يذكر المؤرخون العرب من أهل الثقة والامانة مثل الطبري وابن الأثير والبلاذري وابن عبد الحكم والكندي وغيرهم هذه الحادثة ؛ والحقيقة أن مكتبة الإسكندرية قد قل شأنها قبل الفتح الإسلامي ونقل أغلب مجلداتها إلى روما ؛ وقد يكون قد اختلط الأمر على هؤلاء الكتاب فظنوا أن الحريق الذي اصاب المكتبة سنة ٤٨٠ ق.م عند قدوم يوليوس قيصر إلى الإسكندرية . لمعاوضة كليوباترا ضد أخيها ؛ فاعتقدوا

ذلك حدث زمن عمرو بن العاص ؛ ولم توجد أية وثيقة تاريخية تثبت ذلك الامر .

ومات عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ على أثر طعن أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة وذلك لحقد الفرس على عمر بسبب عملية الفتوحات الإسلامية والقضاء على ملك كسرى ببلاد المشرق ، وبذلك انتهت حياة أعظم صاحب فتوحات إسلامية .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٤-٦٥٦م)

شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه :

توفي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أواخر سنة ٢٣هـ / ٦٤٤م ، ولم يختار أحدا لتوليته الخلافة ، إنما ترك الأمر شورى للمسلمين ، ولكن قام باختيار ستة أشخاص وترك الاختيار بينهم للمسلمين وهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوان ، وطليحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ؛ وإذا تساوى على شخصين منهم في عملية الانتخاب ؛ يؤخذ برأي عبد الله بن عمر ؛ وأن لم يؤخذ برأيه ، فعلى المسلمين اختيار الشخص الذي ضم موافقة عبد الرحمن بن عوف ، واجتمع أهل الشورى برياسة عبد الرحمن بن عوف الذي أشرف على عملية اختيار الخليفة بالمدينة وانحصر الخلاف حول علي بن أبي طالب وعثمان أيهما يلي أمر المسلمين .

وعندما احتدمت شدة التنافس بين الشخصين وفي اليوم الثالث ، دعا عبد الرحمن بن عوف علي بن أبي طالب وقال له إن كنت الخليفة فعليك أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وسيرة أبي بكر وعمر ؛ فرد علي عليه بالرفض وقال أعمل بكتاب الله وبسنة نبيه وعلى

جهدي وطاقتي ؛ وبعد ذلك تحدث عبدالرحمن بن عوف إلى عثمان بن عفان وقال له مثل ما قال لعلي فوافق عثمان ؛ ولذلك أعلن عبد الرحمن بن عوف رئيس مجلس الشورى الإسلامي وهو بالمسجد أن عثمان بن عفان هو خليفة المسلمين بعد عمر بن الخطاب ؛ وأشهد الله على ذلك ؛ وعلى الفور بايع الناس عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة ، واصطبغ اختيار عثمان بصبغة التحيز للأمويين ولذلك عارض بنو هاشم هذا الاختيار ، لأن عبدالرحمن بن عوف كان متزوجا من أخت عثمان بن عفان لأمه ؛ وبذلك تشكك بنو هاشم في تحكيم عبدالرحمن بن عوف .

وعثمان بن عفان هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ابن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصي فهو قرشي أموي ، ويجتمع نسبه مع نسب النبي في عبد مناف ، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ؛ وجدته لأمه هي البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمه النبي عليه الصلاة والسلام وبذلك فهو أقرب الخلفاء للنبي بعد علي بن أبي طالب ؛ وكان عثمان بن عفان يصغر النبي بخمس سنوات ، وولد بمكة ؛ واشتغل بالتجارة واشتهر بالكرم والعفة ، ولم يكن في الجاهلية مثل شباب قريش فهو بعيدا عن الملذات والخمر والنساء ، ودخل الإسلام فهو أول من أسلم فهو رابع من أسلم من الرجال ، وقد أسلم عن طريق سيدنا ابو بكر الصديق ؛ وتعرض للأذى في سبيل الإسلام وكان ثريا غنيا من جراء اشتغاله بالتجارة .

وعندما أسلم عثمان بن عفان تزوج ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام رقية ، وهاجرت مع عثمان إلى الحبشة ومن جملة الإحدى عشر المهاجرين إلى الحبشة فرارا بدينهم وأنفسهم من ايذاء قريش ، ثم رجع إلى مكة ومنها هاجر إلى المدينة المنورة ، وحضر وعاصر جميع الغزوات ما عدا غزوة بدر سنة ٢هـ لأنه كان مجاورا للسيدة رقية بنت الرسول بسبب مرضها الشديد ، ولما توفيت تزوج أختها أم كلثوم بنت النبي عليه السلام ، حتى ماتت سنة ٩هـ ؛ وقام سيدنا عثمان بالسفارة بين الرسول وقريش اثناء المفاوضات على صلح الحديبية ؛ وعندما أشيع ان قريش قتلته بايع الرسول أصحابه بيعة الرضوان على قتال قريش ؛ ولكن الأمر ظهر أنه وشاية .

وبذل المال والعطاء في سبيل الاسلام ، فعندما اراد الرسول الخروج لغزو شمال الجزيرة العربية بتبوك جهز عثمان الجيش الذي أطلق عليه جيش العسرة فقد ساهم عثمان بثلاثمائة بغير وبعثاتها وافرد ألف دينار ، واشتري عثمان بئر رومة من اليهود جعلها للمسلمين ؛ وتمتع عثمان بن عفان بخصال حميدة حيث قال عنه الرسول عليه السلام "أصدق أمتي حياء عثمان" ، وكان من العشرة المبشرين بالجنة ؛ وبايعه المسلمون ومعهم بعد ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وسار على طريق الجماعة ووحدة المسلمين .

وعلى الرغم من ذلك أن عليا وبني هاشم لم يستريحوا لبيعة عثمان بن عفان حيث أنهم أهل بيت النبي عليه السلام ؛ وأن جمهوره المسلمين بايع عثمان بن عفان حتى لا يكون الأمر وراثيا في بني هاشم ، بالإضافة إلى أن اختيار عثمان هو الوضع الطبيعي لتدرج الصحابة ؛ كما أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يستريح لعثمان بن عفان من حيث الخلق والدين والحياء الجم ، وأضاف إلي كل مسلم مائة درهم ؛ وهو الذي أفرد الطعام لإفطار رمضان في المسجد بالمدينة المنورة ؛ وكان عهده رخاء حيث تدفقت الأموال من شتى البلدان والأمصار على المسلمين في المدينة المنورة .

أعمال الخليفة عثمان بن عفان :

في العام الأول من خلافته رتب أحوال الأمصار الإسلامية ، وقيل أنه كان طوعا لسياسة أهل بيته حيث أنه كان يشتهر باللين والسماحة ، وكان شديد الحب لأهله ، ولذلك عين عثمان بن عفان كانت سياسته مصبوغة بالصبغة الأموية ، ولذلك عين عثمان بن عفان على الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى البصرة أبا موسى الأشعري؛ وبعد عام مضى عزل المغيرة عن الكوفة وعين سعد بن أبي وقاص مكانه ؛ ثم عزل عنها سعد سنة ٢٥هـ — ولى عليها سعيد بن العاص بن أمية ؛ ثم عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة سنة ٢٩هـ — وعين عليها ابن خالة عبد الله بن عامر بن كريز .

وجمع عثمان بن عفان لمعاوية بن أبي سفيان ولاية الاجناد الأربعة وهي الأردن ودمشق وفلسطين وحمص وقنسرين ؛ وولى عبد الله بن سعد على مصر بدلا من عمرو بن العاص ، وكان عبدالله بن سعد أخا لعثمان في الرضاة ؛ ولذلك جلب على نفسه المعارضة من أكابر رجال الشورى مثل علي وطلحة الزبير بن العوام ؛ حتى تذمر أغلب المسلمين من سياسة عثمان بن عفان في افرد بني أمية بالولايات والمناصب دوناً عن سائر المسلمين ؛ وقد سمح عثمان بانتقال الصحابة إلى الأمصار وامتلاك الأراضي والضياع وسمح لهم بشرائها من أصحابها ، ولذلك تمتع الكثير من هؤلاء بالثراء وخاصة أفراد قريش ، الأمر الذي أثار الناس على هذه السياسة في مدينة الكوفة وفي عهد واليهما سعيد بن العاص .

ونجد تصرف حكيم من الخليفة عثمان بن عفان عندما تعرض لقضية عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وهي أن عبيد الله بن عمر كان قد قتل الهرمزان الفراسي وجفينة الفرسى أيضا وابنة قاتل ابيه (فيروز أبو لؤلؤة المجوسي) ، وقد شهد على الهرمزان وجفينة أنهما تأمرا مع أبو لؤلؤة وأوعزوا إليه قتل عمر بن الخطاب ؛ كل من عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الرحمن بن عوف وهما شاهدا هؤلاء الثلاثة ليلة مقتل عمر وهم يتهامون في الظلام ، ولما طلع عليهم عبد الرحمن بن أبي بكر سقط خنجر من أبو لؤلؤة وشهد أنه هو نفس الخنجر الذي

قتل به أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب . وعلى الرغم من أن أدم رجال بني تميم قام بقتل أبو لؤلؤة أثناء هروبه ، إلا أن عبيد الله بن عمر نفذ القصاص وقتل الهرمزان وجفينة وذهب إلى دار أبي لؤلؤة المجوسي فوجد بنتا صغيرة فقتلها ؛ وبعد أن اعتلى عثمان بن عفان عرش الخلافة ، كانت أول قضية تعرض عليه بالمسجد ؛ فأمر بعبيد الله بن عمر ووضع بالسجن ؛ ثم فصل في قضيته وقام بدفع ديوات القتلى من ماله الخاص ، ورضى بذلك المسلمون والفرس ووضح حدا للتخاصم بين العرب والفرس من ناحية ، ولم يطبق مبدأ القصاص على بن عمر نظرا لحالته النفسية ، وقام بدفع أموال ديوات القتلى ، لأن أولاد عمر بن الخطاب كانوا لا يملكون من الأموال شيئا ، مثلهم مثل أبيهم ساروا على طريق العدل والمساواة مع الرعية ؛ ونجح عثمان بن عفان في أو قضية حكم فيها .

الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان بن عفان :

شملت الدولة العربية الإسلامية في عهد الفاروق عمر بن الخطاب من أقصى بلاد فارس شرقا ، إلى حدود برقة غربا ، ومن بحر قزوين في الشمال إلى بلاد النوبة في جنوب صعيد مصر ؛ وكثيرا ما جنح سكان هذه البلدان إلى الثورات ضد العرب بسبب اختلافهم عنهم في اللغة والدين والجنس ، وكان العرب يتركون حكم هذه البلدان في أيدي حكامها عندما يعقدون معهم صلحا ، وكان العرب يقيمون في المعسكرات الخاصة بهم في بلاد الشام والعراق وكانت على هيئة مراكز لتجميع

الجند مثل مدينة دمشق وحمص والبصرة والكوفة ، وفي مصر حصن بابلين وأسوان والإسكندرية ، وبلغت هذه الفتوحات أوج عظمتها في عهدي أبي بكر وعمر ، ولم تتصور هذه الشعوب أن العرب يسيطرون على كل هذه الأراضي ، في وقت زمني قصير ، فكانوا يتطلعون لأي نقطة من نقاط الضعف وسرعان ما ثاروا على العرب ؛ وخاصة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، نقضت هذه الشعوب الصلح وأعلنوا عدم طاعتهم للمسلمين ؛ فأخذ المسلمون على عاتقهم أن يخضعوا هذه البلاد وإرجاعهم إلى سلطانهم وعمل عثمان بن عفان على ذلك ، ونجح في سياسته وزاد في هذه الأمور انه قام بفتح بلدان جديدة ووسع رقعة الفتوحات الإسلامية .

(١) في بلاد المشرق الإسلامي:

قام أهل فارس بقتل حاكمهم المسلم ، ولذلك أرسل عثمان القائد عبد الله بن عامر والي البصرة ، وانطلق بجيشه إلى بلاد فارس وحارب أهلها وأرجع شعوبها إلى الإسلام ، وتقدم في بلاد فارس وحارب أهلها وأرجع شعوبها إلى الإسلام ، وتقدم في بلاد فارس وضم مدن ينسابور وسرخس ومرو من بلاد خراسان ؛ وفي سنة ٣١هـ / ٦٥٢م ضمك عبد الله بن عامر مدنا جديدة حتى اخضع خوارزم ، التابعة لبلاد ما وراء النهر ، ثم وصل مدينة بلخ ، ثم رجع عبد الله بن عامر إلى البصرة ومعه أربعين ألف أسير ؛ ثم أرسل عبد الله بن عامر قادة جيشه وضموا بلدان كرمان

وسجستان وطخارستان ، وضم المسلمون كل بلاد فارس إلى حوزتهم في عام ٣٢ هـ / ٦٥٣ م .

وقام المسلمون في عهد عثمان بن عفان بفتح أرمينيا والتي كانت قد وافقت لهم منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعندما أغار الرومان على المسلمين خرجوا منها ، ولكن في عهد عثمان أصدر أوامره إلى واليه في الشام معاوية بن أبي سفيان بأن يسترد أرمينيا من الروم ، أمر القائد حبيب بن مسلمة الفهري الذي سار على رأس ستة آلاف مقاتل فاستولى على قاليقلا وصالح أهلها ، ثم استولى على ريبيل ، وتلفيس ، وكل البلدان المجاورة لها حتى بحر قزوين ، ثم ولى الخليفة عثمان على أرمينيا القائد حذيفة بن اليمان ؛ وذهب القائد حبيب بن مسلمة لغزو بلاد الروم في ثغور الشام والجزيرة .

حتى أن العرب في عهد عثمان دخلوا في بلاد الخزر ووصلوا مدينة بلنجر عاصمة الخزر آنذاك ، ثم استولوا على برذعة وسمسياط ، وكانت هذه البلدان بمثابة ضربة لدولة الروم ، كما أن المسلمين قد استولوا على سواحل الشام واستولوا على قنسرين وطرابلس ، ومدينة عمورية في الأناضول ، وبذلك أصبحت الإمبراطورية الرومانية والمسلمون يمثلون جبهتين متنازعتين لعدة قرون قادمة ، وكانت هذه الحروب سجالا بين الفريقيين ، ولكن المسلمين حققوا انتصارات كثيرة على الروم وضيّقوا الخناق عليهم .

فتح أرمينية :

واستولى المسلمون على أرمينيا من الروم منذ عهد عمر بن الخطاب غير أنهم لم يلبثوا أن اضطروا للجلاء عنها تحت ضغط للجلاء عنها تحت ضغط جيوش الاعداء التي أحاطت بهم ، فأصدر الخليفة عثمان أوامره إلى واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان ، بأنه يكرس جهوده لاستعادة هذا الإقليم ، فسير معاوية إليهم القائد العربي حبيب بن مسلمة الفهري على رأس جيش مكون من ستة آلاف جندي ، فوصل إلى قالقيلا حيث صالح أهلها على الجزية ، ثم واصل الزحف ، وتمكن من مباغته حشود الروم والانتصار عليهم ، قبل أن يمده الخليفة بالمدد الذي طلبه ، وبعد وصول ذلك المدد استطاع الجيشان أن يواصلوا زحفهما ، وأن يبسطا سيطرتهم على ذلك الإقليم الذي يعتبر من أهم الأقاليم الإسلامية .

وأيضاً استطاعت قوات أخرى أرسلها والي الشام معاوية إلى الأناضول أن تبتث الرعب والفرع في قلوب البيزنطيين وكان معاوية يهدف من وراء ذلك هدفاً آخر ، وهو انشغال الروم بالدفاع عن هذه الأقاليم ، حتى لا يكون لديهم وقت للتفكير في تعزيز قواتهم خارج حدودهم حتى يسهل على المسلمين الاستيلاء على بقية القلاع والحصون التي تحت يديهم في بلاد الشام ، وقد نجح معاوية في تحقيق ذلك الهدف ، وتمكنت قواته من تطهير الشام من البيزنطيين ، وحققت القوات الإسلامية انتصارات ساحقة

على القوات البيزنطية أعقبها سقوط ثغري قنسرين وطرابلس آخر معاقل الروم في تلك البقاع ، وأصبح المسلمين يسكنون هذه الثغور .

فانتهزوا فرصة انشغال المسلمين بالفتوحات في المغرب وأرسلوا إلى امبراطور الروم يطلبون منه أن يخلصهم من حكم المسلمين ، ويهونون عليه الأمر بقلّة القوات العربية في الاسكندرية بأنه صاحب البحر دون المسلمين ، فإذا بعث بالجنود سرا في السفن فلن يفتن المسلمون له وتستطيع هذه القوات أن تنزل الاسكندرية (عاصمة مصر) وتستولي عليها ثم تزحف منها للاستيلاء على الاقاليم مصر كلها ، وراقت الفكرة للإمبراطور وحاشيته وخيل إليهم أنهم متى عادوا إلى مصر فملكوها لم يكن ما أصابهم بالشام شيئاً مذكوراً ، ولا عجب في اقتناع الإمبراطور بهذا الرأي ، إذ لم يكن للعرب حينئذ شرع واحد في البحر المتوسط ، والمسلمون لا يعرفون من أمر البحر شيئاً ، وللروم على منتهى القوة ، وفي مقدورهم أن ينقلوا جندهم في السفن إلى مصر ، وقد انتهز الإمبراطور هذه الفرصة التي إن فاتته ضاع أمله في استرداد مصر ، فجهز أسطولاً من ثلاثمائة سفينة أوفرها بالرجال ، وجعل على قيادتها عمانويل الخصي ، ودفعها للغاية التي أرادها ، ولكنه أخفى على الناس مقصدها حتى يظل امرها سرا مكتوماً فلا يعرفه العرب ؛ ووصل الاسطول إلى الاسكندرية ، ونزل جنوده بها فتلقاهم الروم المقيمون فيها وانضموا إليها ، وساروا معهم إلى مكان الحامية العربية فقتلوا رجالها

جميعا ، لم ينج منهم إلا نفر قليل لانزوا بالفرار ، وأن جلاء المسلمين عن مصر أصبح قدرا مقدورا ، وقد كان ذلك عام ٢٥هـ/٦٤٥م.

طلب المسلمون العون من الخليفة عثمان فأجمع أهل الرأي بالمدينة كما أجمع المسلمون بمصر على أن الرجل الذي يستطيع مواجهة هذا الموقف الدقيق هو عمرو بن العاص دون سواه فقد كان اسمه يبعث الرهبة والفرع في نفوس الروم ، لذا عهد إليه عثمان بن عفان - وكان قد عزله عن ولاية مصر - أن يتولى قتال الروم فيجلبهم عن مصر كما أجلاهم عنها أول مرة ، فلم يتردد عمرو في تنفيذ ما أمره به الخليفة ، وقد استطاع أن يفسد على الروم خطتهم ، فقد سار إليهم من الفسطاط وعمل على أن يتقدم الروم داخل البلاد ، ونجح في خطته ، فقد استدرجهم إلى العراق ، ثم التقى بهم في جملة معارك أقنعتهم بتفوق المسلمين البري ، فولوا راجعين إلى الاسكندرية فدخلوها وتحصنوا بها ، وما زال عمرو يهاجمها حتى استطاع اقتحامها عنوة بالسيف ، وقتل قائد الروم وكثيرا منهم ، واستولى على كثير من سفن الاسطول ، ثم هدم سور الاسكندرية - وكان قد نذر أن فتحها ليفعلن ذلك .

بلاد المغرب :

لعب عبدالله بن سعد دورا هاما في فتوح المغرب وقد ولاه عمر بن الخطاب الوجه القبلي على أن سكون تحت رئاسة عمرو بن العاص ففتح النوبة ، ولما عزل عمرو بن العاص عن مصر بأمر عثمان صارت

الولاية والقيادة لعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فأراد أن يثبت وجوده فاتجه إلى الناحية الحربية ، عقد العزم على فتح بلاد المغرب وكان عمر بن الخطاب يرفض أن يستجيب لطلب عمرو بن العاص بفتح أفريقيا ، فلما تولى عبدالله بن أبي السرح ولاية مصر ، أخذ يرغب الخليفة عثمان في فتحها ، فوافق الخليفة وأمد عبد الله بجيش كبير من أهل المدينة يضم بعض كبار الصحابة ، كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبدالله بن عباس ، واتجه ابن أبي السرح بهذا الجيش العظيم غربا جنوب أفريقيا ، واستولى أثناء زحفه على طرابلس ، ثم وصل إلى قرطاجنة عاصمة أفريقية ، وهناك وجد ملكها "جرجير" - الذي أنشق على إمبراطور الروم وأعلن نفسه ملكا على أفريقية - وجده قد أحس بالخطر وأعد العدة للدفاع عن مملكته ضد المسلمين ، وهناك دارت معركة ساخنة بين الفريقين كان النصر في نهايته حليف المسلمين الذين غنموا من أعدائهم غنائم عظيمة قدر سهم الفرس فيها بثلاثة آلاف دينار ، وسهم الرجل ألفي دينار ، وقد قتل جرجير في هذه المعارك ، كما أسرته أبنته ، ورجع الجيش الإسلامي إلى مصر دون أن يستولي المسلمون على أفريقية ، ذلك بعد أن صالح رؤساء أهل أفريقية ابن أبي سرح على مال يقدمونه إليه وكان ذلك عام ٢٧هـ ، واعتبر عبد الله بن سعد من أعظم القادة الذين لهم جهودا في فتح بلاد المغرب .

الاسطول :

كانت أهم أعمال عثمان بن عفان نشأة البحرية الإسلامية ، وفي الواقع أن نشأة البحرية الإسلامية قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بحركة الفتوح الإسلامية فعندما كان المسلمون يخوضون غمار حروبهم في البر لم يفكروا إطلاقا في ركوب البحر ، ولكن عندما امتدت فتوحاتهم حتى وصلت إلى سواحل مصر والشام ووجدوا أن تأمين هذه الفتوحات يحتاج إلى قوة بحرية تستطيع حماية الثغور التي فتحوها والتي طالما تعرضت للغارات البحرية من قبل أسطول بدعوا يفكرون جديا في إنشاء اسطول إسلامي يذود عن تلك البلاد التي فتحوها وتطل بسواحلها على البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب .

وخاف العرب من البحر ، ذلك أن العرب لم يعرفوا في جاهليتهم ولا في عصر الرسول وخلافتي وعمر الحروب البحرية ، إلى أن وصلوا بفتوحاتهم إلى سواحل مصر والشام ، وكانت نقطة الضعف الوحيدة في تلك الفتوحات هي الثغور المطلة على البحر المتوسط في هذين الاقليمين ، لأن الروم كانوا حتى ذلك الوقت يعتبرون سادة هذا البحر ، وملوك الحرب فيه ، فكانت أساطيلهم تفسد على المسلمين خططهم في الاستيلاء على المدن الساحلية الشامية ، وفي الاسكندرية ايضا ، بل لقد تمكن أسطول الروم بقيادة عمانويل من الاستيلاء على الاسكندرية بعد أن فتحها المسلمون حتى تمكن عمرو بن العاص من استعادتها كما سبق أن ذكرنا

في الصفحات السابقة . وأدرك معاوية بن أبي سفيان هذا الخطر الذي يتهدد المسلمين من وقت لآخر ، لا يمكن التغلب عليه غلا بإنشاء قوة بحرية تستطيع مواجهة بحرية الروم وأن أقدم المسلمين لا يمكن أت تثبت في ثغور الشام إلا بمنع أسطول الروم من الوصول إلى تلك الثغور وإمدادها بالإمدادات المختلفة التي تمكنها من الصمود في وجه الزحف الإسلامي ، وذلك ليتأتى إلا ببناء قوة بحرية إسلامية تستطيع القيام بتلك المهمة ، لذلك طلب معاوية من الخليفة عمر بن الخطاب أن يسمح له بالقيام بحملة بحرية لفتح الجزر القريبة من ساحل الشام كقبرص ورودس ، لأن هذه الجزر يتخذها أسطول الروم كنقطة ارتكاز يثب منها على السواحل الشامية ، هذا فضلا عن كونها محطات تموينية لأسطول الروم . وكان معاوية يهدف من وراء السماح له بهذه الغزوة البحرية ، أن ذلك يكون إنذنا من الخليفة ببناء أسطول بحري للقيام بهذه الحملة البحرية ، ولذلك عرض على الخليفة عمر أن يقوم – بالتعاون مع ولاية مصر – بإنشاء أسطول إسلامي تكون مهمته حماية الشواطئ الإسلامية في الشام ومصر من غارات الروم البحرية ، ولا سيما وأن الظروف كانت مهيأة للبدء فورا في بناء هذا الأسطول ، فالأخشاب الصالحة لبناء موجودة في الشام بكميات وفيرة ، واستغل الاقباط في مصر في بناء هذه السفن . وصمم معاوية علي بناء الاسطول لذلك ظل يرأسل الخليفة عمر طالبا منه السماح له في بناء اسطول اسلامي ، فكتب اليه مرة في شأن جزيرة

قبرص : " ان قرية من قري حمص يسمع اهلها نباح كلاب قبرص ، وصياح دجاجهم " ، غير ان عمر تخوف علي المسلمين من ركوب البحر ورفض فكرة معاوية ، منذرا اياه ما اصاب العلاء بن الحضرمي حين غامر غامر فاجتاز الخليج العربي بالجند في السفن فقطع عليه الفرس خط الرجعة الي سفنه ، فلما ألح معاوية الي عمر كتب الي عمرو بن العاص والي مصر ليصف له البحر ، فكان جواب عمرو: " اني رأيت خلقا كبيرا يراكب خلقا صغير ليس الا السماء والماء ، وإن ثار ازاع العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، هم فيا كدود علي عود ، إن مال غرق ، إن نجا برق " فزاد هذا الوصف اشفاق عمر فلم يأذن لمعاوية أن يجهز السفن ومنعه من العودة من مخاطبته في هذا الامر لأن عمر بن الخطاب كان يخشى علي المسلمين من ركوب البحر .

فلما ولي عثمان الخلافة جدد معاوية الطلب فأذن له الخليفة بشرط أل يكره احد علي ركوبة ، وان يقصر الانخراط في البحرية علي المتطوعين ، فأسرع معاوية في العمل علي قدم وساق من أجل بناء البحرية الاسلامية ، وجند كل اصحاب الخبرة في هذا الميدان ، وبدأت دور الصناعة في بناء السفن فأنشأوا له اسفن علي مثال سفن الروم فكانت نوعين : الاول يمكن تسميته البوارج ، وكانت كل بارجة تحمل الف رجل ، والثاني يمكن تسميته طرادات السير السريع والدوران حول البوارج ومحاصرة سفن الروم او السفن المعادية .

وأنتجت دور الصناعة لمعاوية عدد هائل من السفن التي زودها بما تحتاجه من عدة وعتاد ، وضم إليها فيما بعد ما غنمه المسلمون من سفن الروم غير ان العقبة التي صادفت معاوية في بناء قوته البحرية كانت في كيفية توفير العناصر البشرية المدربة علي قيادة السفن والمناوره بها في عرض البحر ولكن معاوية استطاع التغلب علي هذه المشكلة بالاستعانة بالإغريق المقيمين في الشام الذين لهم خبرة بحرية عريقة في البحر المتوسط ، كما استعان بعرب اليمن الذين لهم خبرة بركوب البحر لأرتيادهم البحر الاحمر والمحيط الهندي ونقل بضائعهم فيه ، لذلك لا عجب ان نرى معاوية يسند قيادة اسطوله البحري الي عبد الله بن قيس اليمني ، وقد استطاعت البحرية الناشئة ان تحقق نجاحا ملحوظا في النشاط الحربي البحري فقطعت السبيل علي سفن الروم ، ومنعتها من القيام بمهمة امدادت جيوب الروم علي الساحل الشمالي بالمؤن والعتاد ، الامر الذي سهل علي معاوية مهمته في تطهير اقليم الشام من هذه الجيوب وبسط السيادة الإسلامية الكاملة عليه وتمكين المسلمين من هذه السواحل .

وكذلك بذل والى مصر جهودا لبناء الأسطول المصري وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي أنشأ أسطولا بحريا مصريا لحماية السواحل المصرية من غارات الروم عليها . و هكذا بدأت البحرية الإسلامية الناشئة تمارس . دورها البطولي في منافسة بحرية الروم ، كما

بدأت تسطر الصفحات المشرقة في تاريخ الإسلام ؛ وتعمل على خدمة البحرية الإسلامية في دار الخلافة او في البحر المتوسط .

فتح جزيرة قبرص :

ومن أهم أعمال معاوية بن أبي سفيان والى الشام أنه رأى واجبات هذه البحرية تقليم أظافر أسطول الروم في البحر المتوسط وذلك بالاستيلاء على جزيرة قبرص والتي كانت بمثابة المحطة الإمداد وتمويل الأسطول الرومى ، هذا فضلا عن كونها غنية بالفواكه والمعادن فأرسل حملته البحرية الأولى على قبرص عام ٢٨هـ فنجحت في مهمتها ، إذ تعهد القبارصة بدفع جزية سنوية مقدارها ٧٢٠٠ دينار ، ويؤدون مثلها إلى الروم ، كما تعهدوا بالوقوف على الحياد بين المسلمين والروم ولذلك لم يلتزم المسلمون بالدفاع عن الجزيرة غير أن أهل قبرص لم يلتزموا بموقفهم الحيادي ونقضوا ما أبرموه مع المسلمين بمعاونتهم للروم ، وإزاء ذلك خرج إليهم معاوية بنفسه على رأس قوة بحرية سنة ٣٣ هـ وفتح الجزيرة عنوة ، وأخضعها تماما لسلطان المسلمين ، و نقل إليها اثني عشر ألفا من المسلمين ، وشيدت المساجد والربط ، وبذلك أصبحت جزيرة قبرص قاعدة للإسطول الإسلامي في البحر المتوسط ، وامتلات بالمقاتلين والمجاهدين من المسلمين .

موقعة ذات الصواري :

وبعد أن استولى المسلمون على قبرص وبعد أن أصبح لهم أسطول يدافع عن شواطئ الشام وأفريقية ، أنهم لن يستطيعوا العودة إلى مصر وأفريقية ولن يستطيعوا مناهضة المسلمين في الشام ، ما لم يحطموا اسطول المسلمين لتعود لهم سيادة البحر ، وليكون لهم عل موجة السلطان الناقد و اليد المطلقة ، ولن يتسنى لهم ذلك إذا تركوا أسطول المسلمين ينموا ويزداد خبرة وكفاية ملاحية ، لذلك عزموا غزوهم في البحر وتحطيم أسطولهم ، وكان الروم مطمئنين إلى مقدرتهم علي الظفر بهذا الأسطول لأن سفنهم كانت اكثر من سفن المسلمين عددا ، ولأن ملاحيتهم كانوا أكثر من ملاحى المسلمين براعة وكان دافع الجهاد أقوى من العدة والعتاد ولذلك صمم المسلمون على قتالهم .

وكان ذلك عام ٣٤ هـ . وتنفيذا لعزمهم أجمع الروم إلى قنسطانز هرقل وقد تولى قيادة خمسمائة أو ستمائة من السفن أطلقت أشرعتها تشق عباب البحر المتوسط قاصدة الإسكندرية ، غير أن أميرى مصر والشام علما بخطة قنسطانز فأعدا قوتين بحريتين تجمعتا تحت إمرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح في منطقة خليج فينكس جنوب آسيا الصغرى وقد بلغت سفن الأسطول الإسلامي حوالى المائتين ، وتراءى الأسطولان حين أذنت الشمس بالمغيب فبات الروم يدقون نواقيسهم ، وبات المسلمون يصلون ويقرءون القرآن ، وكل ينتظر ما يتنفس عنه الغد ، فلما أصبحوا

صف ابن أبي سرح أسطوله ورجاله استعدادا للمعركة ، وبعث إلى قنسطانز يقول له : " إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر لأن الأعداء مقاومتمكم . ولم يرضى الروم هذا العرض لأنهم ذاقوا من قبل بأس المسلمين في قتال البر ، ولأن تدمير أسطول المسلمين كان مقصدهم الأول ، ولذلك بعثوا يقولون : " الماء الماء ، ولم يتردد عبد الله بن سعد بن سرح عن منازلهم في الميدان الذي اختاروه فتقدمت سفنه وتقدمت سفن الروم ، ونشب قتال عنيفا غاية العنف ، وقد استطاع المسلمون أن يحولوا سير المعركة إلى جانبهم بتحويلهم الحرب من حرب بحرية إلى حرب برية وذلك عندما اقتربوا بسفنهم من سفن العدو فتداخلت سفن الأسطولين والتحموا بهم على ظهور السفن ، ودارت رحى معركة ضارية بين الفريقين كأنهم يتصارعون فوق اليابسة فكان الرجال يثبون على الرجال بالسيف والخنجر ولا تجد الرحمة إلى قلب أحدا منهم سبيلا ولا شك أن المسلمون يتقنون هذا النوع من المعارك ويتفوقون فيه على عدوهم ، ودفعت الأمواج سفن الأسطوليين إلى الشاطئ فكان القتلى يهون إلى مياه تغمرهم المياه ثم تنحصر عنهم وقد خالطتها دمائهم وانقلب لونها احمر قانيا ، وحمي الوطيس و أبلى المسلمون أحسن البلاء وكثر القتلى من الجانبين كثرة لم يعهد لها في ذلك الوقت مثيلا ، و قد روي عن بعض من حضر ذلك اليوم أنهم قالوا : " رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج وان عليه من أثر الضرب العظيم من حيث الرجال ، وأن

الدم الغالب على الماء ، وصبر الناس يومئذ صبرا لم يصبروه في موطن قط " ، وحدث في أثناء القتال أن كاد قائد المسلمين يسقط في أسر الروم . ، وذلك عندما جذب العدو سفينة القيادة بسلسلة حديدية متينة ، لولا أن اندفع أحد الجنود المسلمين وألقى بنفسه في البحر فوق هذه السلسلة حتى خلص السفينة منها ، أما قسطنز إمبراطور الروم الذي قاد أسطوله بنفسه فقد أصيب بجراح أو هنت قوته وضععت عزمه ، فلما بلغ منه ومن رجاله ورأى المسلمين لا يهن لهم غزم أيقن أن الدائرة لهم عليه فولى مدبرا بما بقي من أسطوله ورجاله ، و قد آمن أن بأس المسلمين في البحر لا يقل عن بأسهم في البر ، وإنهم لا غالب لهم ، ووصل قسطنز بمن بقي من رجاله إلى جزيرة صقلية ، فلما عرف أهلها ما أصابه قالوا له : " أهلك النصرانية وأفنيت رجالها ، لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه حماما وقتلوه فيه ، وتركوا من كانوا معه يعودون إلى القسطنطينية ، هذا ويطلق المؤرخون على المعركة اسم غزوة ذات الصواري لكثرة صواري السفن واجتماعها او لكثرة الأخشاب والغابات المحيطة بسواحل المعركة

جمع القرآن الكريم :

كانت من أهم أعمال عثمان بن عفان والانجازات الكبيرة التي تمت في عهده والتي ظل ولا يزال أثرها باقيا إلى يوم القيامة ، هو توحيد المسلمين جميعا على قراءة واحدة للقرآن الكريم تضمنها المصحف الذي

امر عثمان بكتابته وانتساخ بضعة نسخ منه وزعها إلى الأمصار الإسلامية الكبرى والزم الناس بها ، وأمر بحرق ما عداها من المصاحف و أمر الشعوب الإسلامية باتباع ذلك ولقد حدث في عهد أبي بكر جمع القرآن يسمى الجمع الأول وسببه انه عقب واقعة اليمامة نظر عمر فوجد كثيرين من قراء وحفاظ القرآن قد استشهدوا في المعركة فخشي أن يضيع كثيرا من القرآن بموت آخرين من الحفاظ ، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن خشية ضياعه ، فاستجاب أبو بكر لهذا الرأي و أمر زيد بن ثابت بجمعه وقام بهذا العمل الجليل خير قيام واحتفظ الخليفة بالمصحف عنده قم انتقل من بعده إلى عمر ، فلما حفظ لدي حفصة بنت عمر أم المؤمنين وزوجة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ونجد جميع القرآن الكريم على يد عثمان فسببه ان الصحابة تفرقوا في الامصار ، وكانت لهجاتهم مختلفة في نطق الكلمات ، ودخل اقوام جدد من اهل البلاد المفتوحة في الاسلام وظن اهل كل مصر ان قراءة صاحبهم هي القراءة الصحيحة ولا يكون قرانا غيرها ، وظهر ذلك بجلاء حينما اختلط الشاميون بالعراقيين اثناء غزوة ارمينية واذربيجان ، وكان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يرقب احوال المسلمين ، وفي اثناء رجوعه قال لسعيد بن العاص : " انى قد سمعت في سفرى هذا امر ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه ابدأ ، قال سعيد وما ذاك ؟ قال حذيفة : رأيت اهل الشام حين قدموا علينا فسمعت اناسا من

اهل حمص يزعمون لاناس من اهلى الكوفة انهم اصوب قراءة منهم وان المقداد بن الاسود ، اخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الكوفيون ذلك وانهم اخذوا قراءتهم عن ابن مسعود ، وسمعت قوما من اهل دمشق يقولون لهم : لا نحن اصوب منكم ويقولون لهم مثل ذلك ، واختلف المسلمون فى القراءات الامر الذى له خطورته.

وعندما رجع حذيفة بن اليمان الى كوفة دخل المسجد فحدث الناس بما سمع وحذرهم بما يخشاه عليهم ، وساعده فى ذلك اصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتعصب اهل الكوفة لقراءة عبد الله بن مسعود ، واهل البصرة لقراءة ابي موسى الاشعري ، واهل حمص لقراءة المقداد وهكذا ، فغضب حذيفة وبعض الصحابه والتابعين وقالوا لهم ، انما انتم اعراب فاسكتوا فانكم على خطأ ، واغلظ ابن مسعود القول لحذيفة فغضب سعيد بن العاص ، ورحل حذيفة الى الخليفة عثمان بالمدينة فاخبره الامر .

وقام عثمان بجمع الصحابة وسمعوا من حذيفة فهالهم الامر وشق عليهم فطلب عثمان من ام المؤمنين حفصة بنت عمر ما كان عندها من الصحف التى جمعت على عهد ابي بكر ، ولما احضرت الصحف امر عثمان بن زيد بن ثابت - كاتب الوحي للرسول - وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها ، وقال الخليفة والصحابة لهؤلاء الكتاب : " اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قریش

فانما نزل بلسانهم ففعلوا فلما نسخوا ما فى الصحف ردها عثمان الى حفصة وارسل الى كل جهة مصحفا ففرح الناس وعرفوا فضل هذا العمل الجليل ، الا ان اتباع ابن مسعود بالكوفة عابوا ذلك على عثمان ، وقال : " كان القران كتبا فحرقها الا واحدا فصاح فيهم ابن مسعود وقال : ولا كل ذلك فانكم والله قد سبقتم سبقا بيننا فاربعوا على ظاعكم (اسفقوا على انفسكم) فلوا وليت منه ما ولى عثمان لسلكت سبيله . وقد تم هذا العمل الجليل سنة ٣٠ هـ وبذلك جمع عمان الشعوب الاسلامية فى وحدة قوية لا انفصام لها بجمعهم على مصحف واحد ولو لا ذلك لوقع ما كان يخشاه حذيفة ، ولتعدد القران كما تعددت التوراة والانجيل ولكن الله سلم لسابق وعده " انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون " ، وبذلك يعتبر من اعظم اعمال عثمان بن عفان هو جمعه للقران الكريم .

الفتنة الكبرى ومقتل عثمان بن عفان :

ان دراسة الفتنة التى ادت الى مقتل عثمان عمل واسع افاض فيه الباحثون وخاصة بعضهم بدراسات مستقلة ممتازة ، وسوف نحاول فى الصفحات التالية ان نلقى الاضواء على الفتنة التى انتهت بمقتل عثمان رضى الله عنه ، ومن الواضح ان بنى امية كانوا فى اول الامر اعداء الاسلام فى بداية امره ، ثم لم يلبث ان استسلم بنو امية ودخلوا الاسلام عند فتح مكة . ولما مات الرسول صلى الله عليه وسلم لما يطمع بنو امية فى الخلافة لقرب عهدهم بالاسلام ، ولموقفهم العدائى منه فترة طويلة ،

ولكن الاحداث التى مر بها الاسلام ابان خلافة ابى بكر وعمر أتاحت الفرصة لبنى امية ليعوضوا ما فاتهم من الجهاد فى سبيل الاسلام ، فلمعت اسماء بعض القادة المغاوير منهم فى حرب الرده والمتنبئين ، وفى الفتوحات الإسلامية فى مصر والشام وفارس ، ومن هؤلاء يزيد بن ابى سفيان ومعاوية ، وهند ام معاوية التى كانت تخوض مع الرجال موقعه اليرموك وبهذا استعاد بنو امية مكانتهم فى الدولة الإسلامية ، وبالتالى طمعوا للحصول على بالخلافة الإسلامية وراحوا يعدون العدة لذلك.

وبعد موت عمر بن الخطاب كانت هناك اسرتان كبيرتان تطعمان فى هذه الخلافة هما اسرة بنى هاشم واسرة بنى امية ، فقد كان على بن ابى طالب يرى نفسه احق بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن المسلمين لم يستجيبوا له حينذاك اذ رات اغلبتهم ان الخلافة لو اسندت الى هاشمى لاصبح من العسير اخراجها من بنى هاشم فضلا عن مكانه ابى بكر فى نفوس المسلمين جميعا وحبهم له قبل وبعد الخلافة

اسباب الفتنة :

عندما تولى عثمان بن عفان الخلافة انقسم المسلمون الى فريقين : احدهم لا يرضى عن عثمان ولا يزيكيه ، والثانى - يؤيده طمعا فيه ، ومن هنا يبدو الوضع الحرج الذى وضع فيه عثمان من اول الامر ، هذا بالإضافة الى ان عثمان كان قد تخطى السبعين من عمره عندما تولى الخلافة ، وتلك سن تؤذن بالزوال ، هذا فضلا عن ان عثمان جاء بعد

عمر ، او بمعنى اخر جاء اليسر والتسامح بعد الشدة والصرامة ،
 والتردد بعد العزيمة القوية ، فانفلت المكبوت واقد الخائف ، وتطلق
 السجين فقد كان من اجتهاد عمر انه منع كبار الصحابة من مغادرة
 المدينة الا باذن ولأجل محدود ، وكان يقول : ان اخوف ما الف على هذه
 الامة انتشارهم فى البلاد ، وكان يقول لمن يستأذنه فى الغزو قد كان لك
 فى غزوك مع الرسول ما يبلغك ، وخير لك من الغزو اليوم ، الا ترى
 الدنيا ولا تراك . فلما تولى عثمان الخلافة لم ير ما راه عمر او عجز عن
 ان ينفذه وكان عمر ذا بصيرة نافذة فى رايه ، فان كل واحد من كبار
 الصحابه سافر - فى عهد عثمان - الى جهه واتخذ له مستقراً فيها ،
 وراح يتحدث عن موافقه مع الرسول وكفاحه من اجل الاسلام فالتف به
 معجبون كثيرون ، كما التف حولة ايضا الطامعون وتفرقت الامة ،
 واصبح كل واحد من هؤلاء يمثل ملكا غير متوج له الكثير من العظمة
 والاتباع . وبدا الغنى يظهر فى العالم الإسلامى منذ اخريات عهد عمر
 والغنى وسيلة للبذخ والشيطان ، ان لم تكن هناك رقابه شديدة وتوجيه
 رشيد ، وبموت عمر ماتت الرقابة وتوقف التوجيه فظهرت الآثام
 وانتشرت الشرور ، وخاصة بين المسلمين الحدائى الذين جاءوا من خارج
 بلاد العرب .

وبالإضافة الى ذلك فقد بدا الخليفة عثمان نفسه يفعل اشياء لم
 يفعلها سابقوه ، اشياء رهاها بعض المسلمين اخطاء ، بينما كان عثمان

يراهنا صوابا وضرورة وكانت هذه الاعمال هي الشرارة الاولى التي انطلقت منها الفتنة الكبرى ، وهذه الاعمال تتصل بسياسته فى الحكم من ناحية ، كما تتصل بسياسه فى الناحية الاقتصادية ، على اننا يمكن ان نقرر بآدى ذى بدء ان هذه الاعمال التى قام بها عثمان لم يقم بها استهانته او ارتجالا وانما قام بها بناء عن فلسفة اقتنع بها بعد فكر واجتهاد هداه الى ان من حقه ان يقوم بما قام به ، وهذا يبعد عن عثمان المؤخذة الكاملة ، وفيما يتعلق بالحكم فيمكن ايضا ان سن عثمان كتبت متقدمة عندما تولى الخلافة ، وهو لذلك كان اكثر حاجة من ابي بكر وعمر لمن يساعده فى تحمل اعباء الحكم فى تلك الدولة المترامية الاطراف ، هذا بالإضافة الى ان عثمان من اسرة كبيرة - بنى امية ويتمتع الكثيرون من افراد تلك الاسرة بمكانه مرموقة فى الحياة العربية والاسلامية ، وكان منهم القادة والامراء قبل تولى عثمان الخلافة وبمرور الزمن وتقدم الشيخوخة بعثمان ازدادت حاجته الى من يساعده ومن ثم رأى عثمان ان يعتمد على أقاربه فى تصريف الامور داخل العاصمة وخارجها لانهم موضع ثقة وهم احرص على اعانتة والاخلاص له ، هذا فضلا عن ان كفاءتهم محل اعتراف الجميع ولذلك ولاهم عثمان واستكثر منهم فمصر كانت لعمر بن العاص فنقلت الى عبد الله بن ابي سرح ، والكوفة كانت للمغيرة بن شعبه فنقلت الى سعيد بن العاص ، ومحاص كان واليها عمير بن سعد فضمها الى معاوية بن ابي سفيان والى دمشق وذلك كما ذكرنا من قبل .

الفتنة الكبرى واندلاعها :

واحس الخليفة ان الفتنة قد اطلت براسها ، ولكنه اصر على عدم استخدام القسوة مع الثائرين ، واتسع لهم حلمه وحيأؤه وازاء هذه الاخلاق وفى ظلها نمت الفتنة غير خائفة من بطش الخليفة ، او من انتقامه وكنتم عثمان يثور احيانا ولكن كانت ثورة الشفوق لا تلبث ان تفتت ثم تموت ، وكان على بن ابى طالب كلما اشتكى الناس اليه امر عثمان ارسل ابنه الحسن اليه فلما اكثر عليه على قال عثمان للحسن : ان اباك يرى ان احدا لا يعلم ما يعلم ، ونحن اعلم بما نفعل فكف عنا فلم يبعث على ابنع فى شى بعد ذلك على ان الامور قد صارت طيلة الست سنوات الاولى من خلافة عثمان مدفوعه بالقوة والهيبة والصرامة التى بذلها الفاروق عمر بن الخطاب ، فظل الضوء الذى اشعلة عمر ينير للناس ، ولكن عثمان لم يمد المصباح بالزيت الذى يلزم لاستمرار الاضاءة . وعندما اوشك الزيت ان يجف بداء الظلام يدخل ، وبدأت الدولة تهتز ، ولكن ليس معنى هذا ان اعمال عثمان التى تسببت فى غضب الناس لم تظهر الا بعد ست سنوات لا فقد ظهرت منذ اللحظة الاولى ، ولكنها كانت اشبه بالمرض الذى يدخل الجسم فلا يزال الجسم يقاومه عنوة بمناعته الطبيعية ولكن عندما لا يتعاطى الجسم الدواء ليوقف المرض ويقضى عليه ، فان المرض يشتد حتى يضعف الجسم ويفقد المقاومة وينهار المريض ، وهكذا جاءت السنوات الست الثانية وقد بدأت الدولة تهتز اركانها واخذت

المشكلة تستعصى ، وعلى الرغم من نصيح الناصحين للخليفة الشيخ بالاعتزال والخلود الى الراحة فانه رفض بشدة قائلاً لهم : كيف اخلع لباسا البسه الى الله تعالى .

هذه العبارة من عثمان تدل على مفهوم الخلافة لدية وهى انها من الله وليس للمسلمين دخل فيها ، وهذا يخالف تماما مفهوم الخلافة عند ابي بكر الذى قال فى خطبة البيعة : فان احسنت فأعيوني وان أسأت فقوموني و اشتعلت الثورة ضد عثمان فى مصر والكوفة و البصرة ، وبدا منظموها فى تلك الأقاليم يجاهرون بها ، وانضم إليهم أعلام من الصحابة أنكروا على عثمان بعض تصرفاته ومنهم أبو ذر الغفارى و عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر وهنا كشف عبد الله بن سبأ عن وجهه الحقيقي كمنظم وزعيم للثورة ، وسارع باجتذاب آراء هؤلاء الصحابة إليه ، وعبد الله بن سبأ هو الشخص الذي نقل الثورة من الكلام إلى العمل ، و لم يكن ابن سبأ مخلصا فى حركته ، وقد كان يهوديا أدعى الدخول فى الإسلام ولم يكن يضمّر للإسلام والمسلمين خيرا فانتهز هذه الفرصة ليشعل الفتنة ، وينول بالعالم الإسلامى ظلت متأججة على عشرات السنين ، ومن الممكن أن يخطئ شخص أو يزل ولكن الإصلاح الخطأ طرق شتى عندما تحسن النية وابن سبأ كان أبعد ما يكون عن صدق النية ، وقد طاب له إن يجد أخطاء عثمان ليجعلها سببا لهوة ينزلق فيها المسلمون ولا يعرف مداها إلا الله ، ونجح ابن سبأ فى الخطة التي وضعها ، إذ نجده

ليضمن النجاح والثفاف البعض حوله يقوم بالدعوة لعلی ونشر مذهب الوصاية ، أي أن علیا وصی محمد كما أن لكل نبی وصیا ، وأن علیا خاتم الأوصياء ، كما كان محمد خاتم الأنبياء ، وأيد رأيه بأحاديث وضعها كما أشاع نظرية الحق الإلهي ، وهي نظرية فارسية عبرت مع الفرس إلى اليمن موطن ابن سبأ إذ كان الفرس يحتلون اليمن قبل أن يدخلها الإسلام ، ومفاد هذه النظرية أن علیا هو صاحب الحق الأول في الخلافة .

وأجتهد عبد الله بن سبأ في تأجيج المسلمين ، فأثار الشبهات وجمع حوله الأنصار كما جمع الساخطون على عثمان ، وزحف الثائرون إلى المدينة عاصمة الخلافة من البصرة والكوفة حيث ترعرعت مبادئ ابن سبأ بين أتباع علی ومحبيه كما زحف ثوار مصر حيث كان ابن سبأ يعيش في ذلك الوقت ، وحيث استخدم كافة الوسائل : لإثارة المصريين ضد عبد الله بن سعد بن أبي سرح والی عثمان وأخيه من الرضاعة ؛ وكان يريد ابن سبأ الكيد للمسلمين ، وعندما تجمعت الثورة في المدينة ، فتصدى لهم علی بنم أبي طالب ، وأوضح لهم أن الاعتداء على الخليفة تفريق لجماعة المسلمين وإضعاف للإسلام كما دافع الخليفة عن نفسه دفاعاً مقبولاً ، وبدأت تظهر في الأفق بشائر انفراج الأزمة ، فتفرق الثائرون راجعين إلى بلادهم ، عندئذ أدرك ابن سبأ هزيمته وضياع الفرصة التي عمل لها سنين عديدة ، فدبر أمره و عمل بالحيلة فيروي ان

الثائرين - أثناء رجوعهم إلى أمصارهم - رأوا رجلا أسود يمشي على بعد منهم ، وانه يحاول أن يختفي عنهم ، فتشككوا في أمره فلحقوا به وقبضوا عليه وبتفتيشه وجدوا معه خطابا لوالي مصر بأن يقتل هؤلاء الثائرين ويقتل معهم محمد بن أبي بكر الذي كان من زعمائهم ، ويمثل بجثث الجميع فهنا أسقط في يد الثائرين وقد أصبحت دمائهم مباحة ، وأصبحت في نظرهم دفاعا عن النفس ؛ وواجهوا عثمان بالأمر ، فأقسم لهم الخليفة أنه لم يكتب هذا الخطاب ولا أمر به ولا علم له به فطلبوا منه إزاء هذا الموقف أن يسلمهم حامل خاتمه أو يقتص منه فأبى بحجة أن حامل خاتمه لا يعمل هذا أبدا ، وأن أبناء السوء قلدوا خاتمه وزورا عليه هذا الخطاب وانه غير مسئول عن هذه الرسالة وأوضح بعض المؤرخين ، مسألة الاختلاق ووضع الكت والرسائل بأسماء الآخرين وكيف لعب ذلك دورا هاما في إشعال هذه الثورة فقالوا : لما قدم القواد قالوا يعلى : قم معنا إلى هذا الرجل قال : لا والله لا أقوم معكم ، قالوا : فلم كتبت إلينا ؟ قال : والله ما كتبت إليكم كتابا قط . فنظر القوم بعضهم إلى بعض وخرج على من المدينة واستتكرت عائشة قتل عثمان ، قال لها مروان : هذا عملي كتبت للناس تأمرينهم بالخروج عليه . فقالت : والذي أمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست في مجلسي هذا ، فاكنوا يرون انه كتب على لسان على وعلى لسانها ، كما كتب على لسان عثمان إلى الأسود عامل مصر ، فكان اختلاق هذه

الفريد (١) الكتب كلها سببا للفتنة ، وهذا ما ذكره ابن عبد ربه في كتابه العقد .

مقتل عثمان رضي الله عنه :

ولجأ الخليفة عثمان أثناء محاصرة الثائرين لبيته أن يرسل إلى الحجاج في موسم الحج الذي عقد وهو محاصر يطلب عونهم ، فتحركت شهامة الكثير من المسلمين للدفاع عن الخليفة ، وكانت هناك جنود تجد في زحفها إلى المدينة لفك الحصار عن الخليفة ، ولكن الثائرين تنبهوا لذلك وأدركوا أن الفرصة قد أوشكت أن تفلت من أيديهم ، فتساق بضعة منهم جدار البيت بعد أن استمر الحصار اثنين وعشرين يوما وهجم الذين تسوروا الدار على الخليفة وهو قرأ القرآن وضربه الغافقي بحديدة كانت في يديه ، وضربه آخر بالسيف ، وقطع أصابع زوجته وهي تحاول الدفاع عنه ، وخر الخليفة الشيخ وكان مصرعه باب لفتنة شعواء دفع المسلمون بلا ذنب ولا جريرة الآلاف من أرواح الشباب التي راحت وقودا لها ، على أن القتلة الحقيقيين لعثمان كانوا أفراد قلائل عرف منهم الغافقي الذي فر بعد ارتكاب جريمته الشنعاء ولم يحصل له على أثر ، وأما الآخرون فلم تعرف شخصيتهم : الأمر الذي أسند قتل عثمان إلى الثائرين والمرضين مما وسع الهوة وسبب ألوانا من النكبات ، فقد مزقت الحروب الأهلية التي تلت قتل عثمان وحدة المسلمين شر ممزق ، إذ لم يكد يفرغ المسلمون من بيعة على بن أبي طالب حتى وقع الخليفة الجديدة

بين بني امية من جهة و ، وبلين عائشة وطلحة و الزبير من جهة أخرى ، ووقعت الحرب بين علي وأصحاب الجمل : وبين علي ومعاوية ، وبيان هذه الأحداث هو عصر خلافة علي بن أبي طالب الخليفة الرابع لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، والتي سوف نستعرضها في الصفحات القادمة

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٤٠:٣٥هـ / ٦٦١:٦٥٦م)

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف : وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم فهو هاشمي بن هاشم فهو هاشمي الأب والأم ، وهو زوج فاطمة بنت النبي عليه السلام و ابن عمه ، وهو أول من أسلم من الصبيان حيث كان صبيا عند دعوة النبي ؛ ولد قبل الهجرة بحو السى عشرين سنة ؛ وتربى على أيدي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، لأن أبي طالب والد علي كان قد تكفل بمحمد قبل ذلك ؛ وبات على علي فراش النبي ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة ، وهذا الموقف يدل على شجاعة علي بسن أبي طالب ، وهاجر بعد النبي بثلاثة أيام لأن النبي كلفه برد الودائع إلى أهلها اشتهر بالعلم منذ صغره ، لأنه نشأ على مائدة الرسول عليه السلام ، وتأخي مع النبي بالمدينة المنورة ، وتأخي مع سهل بن حنيف أيضا ؛ وغزا مع النبي جميع غزواته ، وكان فارس مغوارا ومسارزا شهما ؛ واستخلفه النبي عليه السلام على المدينة أثناء

غزوة تبوك ؛ وكان مدينة العلم لشدة علمه وتقواه واشتهر بالزهد والورع والتقوى والسماحة والعدل وصفاء النفس ، وكان يستشيريه في معظم الأمور أبو بكر و عمر بن الخطاب وعثمان ؛ وكان من أعظم رجالات الإسلام وأكفأهم في المواقف الصعبة ، وقتل كثير من كفار قريش ، وشهد له عامة المسلمين بالورع والشجاعة أما عن مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فعندما قتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أصبحت المدينة بدون خليفة بل أصبحت في قبضة الثوار الذين قتلوا عثمان ، ظل الأمر كذلك لمدة أربعة أيام متتالية ، وكان الثوار يريدون توثيق خليفة للمسلمين قبل أن يرجعوا إلى بلادهم ، فأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير بن العوام وأهل البصرة كانوا يريدون طلحة بن عبد الله ، وأهل مصر يريدون علي بن أبي طالب ، ومنهم من يريد سعد بن أبي وقاص وآخرون يريدون تولية عبد الله بن عمر ، واختلف الأمر بين المسلمين ، و في اليوم الخامس ذهبوا إلى علي بن أبي طالب الذي امتنع عن قبولها لكنهم ألحوا عليه وخوفوه من تشتيت شمل المسلمين وتفتيت أمرهم في هذه واجتمع الناس بالمدينة وأيدوا مبايعة علي بن أبي طالب في يوم ٢٣ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ ، وبايعه كل من كان بالمدينة ماعدا بعض الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وحسان بن ثابت ، والنعمان بن بشير ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو سعيد الخضري ، وأسامة بن زيد وغيرهم ، واختلف الأمر مع طلحة و الزبير وأكفأهم

في المواقع الصعبة ، وقتل كثير من كفار قريش ، وشهد له عامة المسلمين بالورع والشجاعة أما عن مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فعندما قتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أصبحت المدينة بدون خليفة بل أصبحت في قبضة الثوار الذين قتلوا عثمان ، ظل الأمر كذلك لمدة أربعة أيام متتالية ، وكان الثوار يريدون توثية خليفة للمسلمين قبل أن يرجعوا إلى بلادهم ، فأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير بن العوام وأهل البصرة كانوا يريدون طلحة بن عبد الله ، وأهل مصر يريدون علي بن أبي طالب ، ومنهم من يريد سعد بن أبي وقاص وآخرون يريدون تولية عبد الله بن عمر ، واختلف الأمر بين المسلمين ، وفي اليوم الخامس ذهبوا إلى علي بن أبي طالب الذي امتنع عن قبولها لكنهم ألحوا عليه وخوفوه من تشتيت شمل المسلمين وتفتيت أمرهم في هذه واجتمع الناس بالمدينة وأيدوا مبايعة علي بن أبي طالب في يوم ٢٣ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ ، وبايعه كل من كان بالمدينة ماعدا بعض الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وحسان بن ثابت ، والنعمان بن بشير ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو سعيد الخضري ، وأسامة بن زيد وغيرهم ، واختلف الأمر مع طلحة و الزبير البصرة الوالى عثمان بن حنيف ، وسهل بن حنيف إلى الشام ، و قيس بن سعد بن عبادة وواه مصر ، وعبيد الله بن عباس على اليمن و عمارة بن شهاب على الكوفة ، ولكن أهل الكوفة ردوه لأنهم مقتنعين بولاية أبي موسى

الأشعري ؛ وباقي الولاة أستلموا أعمالهم ماعدا سهيل بن حنيف الذي رده جند معاوية إلى المدينة ، ولم يعترفوا بوالى غير معاوية بن أبي سفيان على الشام .

الفتنة الكبرى :

لقد أصدر علي بن أبي طالب هذه القرارات التي قضت بعزل ولاة عثمان ثم عليهم بعد عزلهم إرسال الهبات والعطايا الكبيرة التي أقطعها عثمان إياهم ؛ ولم يعمل بنصيحة المغيرة بن شعبة و عبد الله بن العباس ، إنما قال " لا أداهن في ديني ولا أعطى الدنيا في أمري أضف إلى ذلك أن طلحة والزبير طلبهما على ليستشير برأيهما ، فل يجيباه برأي صريح ، بل طلبا منه السماح لهما بالذهاب إلى مكة المكرمة للعمرة فأذن لهما ، وأعلن معاوية رفضه لطاعة علي بن أبي طالب ، بل طالب علي بالقصاص لمقتل عثمان بن عفان ، وتأهيب علي للخروج إلى الشام لقتال معاوية ، وبينما هو كذلك حتى أتاه خبر بأن أهل مكة أعدوا العدة ضده ، بل وانضم إليهم طلحة و الزبير وعائشة زوج النبي عليه السلام.

وخرج الحزب الثلاثي من مكة والمكون من طلحة والزبير وعائشة وقصد البصرة بالعراق وأعلنوا معارضتهم بل وعدائهم لعلي ؛ ورفض كثير من العرب خروج عائشة لمعارضة علي وانقسمت القبائل العربية بين التأييد لعلي وتأييد عائشة ؛ ونجد عائشة تحارب أنصار علي بالبصرة ومنتصر عليهم ، و عزلت والى البصرة من قبل علي وعرضته للإهانة ،

وكادت تحدث فتنة بين طلحة و الزبير على إقامة وزعامة الصلاة بالبصرة لولا تدخل السيدة عائشة بينهما وأسندت الصلاة . يوما لطلحة ويوما للزبير بن العوام .

معركة الجمل :

اتخذ علي بن أبي طالب قراره بقتال حزب عائشة ، ثم مواجهة حزب معاوية بن أبي سفيان ، ولذلك توجه إلى العراق على رأس جيشه ، وخرجت عائشة تركب جملا وهي جالسة في هودج تدير المعركة وتحمس الجند لقتال علي ، ولذلك سميت هذه المعركة باسم جمل السيدة عائشة ؛ وأتقى الفريقان في معركة عنيفة قتل فيها طلحة والزبير و عقر جمل عائشة ومات حوله سبعون رجلا ؛ وأعاد علي عائشة إلى مكة المكرمة معززة ، وعاشت بها حتى ماتت سنة ٥٨ هـ / ٩٧٧ م ؛ وانتهت المعركة بانتصار علي بن أبي طالب ، وهرب رجال عائشة والتحقوا بجيش معاوية بن أبي سفيان بالشام ، وكانت هذه المعركة سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م .

وفقد المسلمون في هذه المعركة ما يقرب من عشرة آلاف قتيل ؛ وعفي علي بن أبي طالب عن الذين انضموا لعائشة ودخل البصرة وصلي بالمسجد ، وبايعه أهلها ، بعد أن قسم بيت ماله بالتساوي علي المسلمين ؛ وترحم علي القتلي أجمعين ، وصلي عليهم سواء ما كان معهم أو من كان ضده ؛ ولذلك عاشت السيدة عائشة نادمة علي اشتراكها

في معركة الجمل وتمنت لو أنها ماتت قبل هذه المعركة ؛ وظلت باقي عمرها تشعر بالذنب والندم لهذه المعركة .

معركة صفين :

كان علي بن أبي طالب قد نقل مقر خلافته من المدينة المنورة إلى مدينة الكوفة بالعراق حيث أنصاره وأنصار الحزب الهاشمي ، والبعد عن مركز الصراعات بالمدينة ومكان وقوع أول شرارة في هذه الفتنة ؛ وبالتالي يكون قريباً من أقوى المنافسين له وهو معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام بالقوة منذ عهد عثمان بن عفان ؛ وبعض القضاء علي المعارضة لعلي في معركة الجمل ؛ بات الأمر بين علي ومعاوية واقفل حتميت ينم بالصراع والقتال بين علي ومعاوية ؛ وأصبحت جبهة العراق كلها تابعة لعلي وجبهة الشام تابعة لمعاوية بن أبي سفيان .

وعلي الرغم من ذلك أرسل علي رسولا إلى معاوية بن أبي سفيان يطلب منه الإذعان والطاعة والدخول في طاعة علي ولكنه بعد أن تشاور مع أتباعه حرضوه علي عدم الإذعان لأمر علي ؛ ورأي معاوية أن عليا مسئول عن دم عثمان ، وأن بيعته باطلة بالمدينة وليست مشروعة ، وليس لعلي الحلق في عزله لأنه تولى الشام من قبل عثمان ، وانتهى تحذير علي له بالفشل ورجع جرير بن عبدالله البجلي فاشلا في إقناع معاوية ؛ وتأهب معاوية للمعركة ضد علي وسعي إلى تحسين علاقاته مع البيزنطيين ورد أسراهم وعقد صلحا معهم ؛ وجمع قبائل عرب الشام

الذين تعصبوا لعثمان بن عفان لأنه قد تزوج منهم ؛ وخاصة قبيل كلب ، وأقسم كثير من رجال هذه القبيلة أن يغتسل أو ينام علي فراش إلا بعد الأخذ بثأر عثمان ؛ وهذا كان يحدث في الجاهلة وقبيل ظهور الإسلام .

وصمم علي علي قتال معاوية وأهل الشام حتي يرجعوا إلي رشدهم ودعي الناس لقتالهم فاستجاب له أهل العراق وكثير من المهاجرين والأنصار ، ورأوا أن طاعة علي واجبة علي كل المسلمين ، ووجب قتال أهل الشام لإرجاعهم عن معصيتهم في حق الخليفة وإرغامهم علي الطاعة والبيعة لعلي ، واكتملت صفوف علي وخرج من الكوفة علي رأس جنده وتوجه شمالا غرب نهر الفرات والتقي بجيش معاوية بن أبي سفيان في سهل صفين سنة ٥٣٧ / ٦٥٧ م ، وتراجعت القبائل العربية أمام بعضها وبدأت الحرب بالخطب الحماسية وبالمبارزات الفردية ، وسيطر الأشتر النخعي أحد قادة علي علي مشارب المياه في صفين ؛ وكانت مارك متتالية ومبارزات فردية فليل أنها وصلت إلي تسعين معركة ذهب فيها كثير من أرواح المسلمين ، وقال فريق من المعتدلين في كلا الجيشين إلي المودعة والصلح ولكنها فشلت .

ولذلك ضاق علي ذرعا بهذه المناوشات الطويلة التي لا فائدة منها سوي المماطلة واتساع رقعة الفتنة ؛ واشتبك الفرقان في معركة حامية حالف الفوز فيها أهل الشام في أول الأمر ، ولكن جنود علي ابن أبي طالب جمعوا شملهم تحت قيادة الأشتر النخعي وتغلبوا علي أهل الشام

وكادوا ينهوم المعركة بهزيمة أهل الشام ، حتي وصل جند علي إلي معسكر أهل الشام ، وعندما رأي عمرو بن العاص هزيمة أهل الشام فكر في حيلة ينهي بها القتال وأمر جند الشام برفع المصاحف علي أسنة الرماح وأن يقولوا هذا كتاب الله حكم بيننا وبينكم ؛ ورفعوا المصاحف واستجاب كثير من جيش علي لحكم القرآن ، ولكن علي صمم علي القتال وعرف أن الأمر حيلة من عمرو بن العاص وقصد بها الفتنة لا الدين ولا القرآن هو ومعه معاوية بن أبي سفيان ، ولذلك هدد جند علي الخليفة علي بأن يقبل حكم القرآن وإلا تركوه أو قتلوه ، ولذلك أمر قائده الأشتر بن النخعي بوقف الحرب وقبول التحكيم بالقرآن الكريم كما طلب جند الشام ؛ وأرسل علي إلي معاوية ليوضح له ما قصده ما وراء رفع المصاحف ، فرد معاوية نبعث رجل منا وتبعثون رجلا منكم ليحكم بيننا بالقرآن الكريم فوافق جمع كثير من جند علي ولكن الأشتر النخعي حذرهم بأن موضوع التحكيم خدعة .

التحكيم :

وانتهت معركة صفين والتي راح ضحيتها عدد كبير من المسلمين وكبار الصحابة وقدروا بسبعين ألف مسلم علي رأسهم عمار بن ياسر من جيش علي بن أبي طالب ، وقدر بعض المؤرخون من قتل بتسعين ألف مسلم ؛ وعلي الرغم من ذلك فقد أجبر علي التحكيم وكان كارها إياه وكان كارها لنائبه في التحكيم أبو موسى الأشعري ؛ وأختار أهل الشام

عمرو بن العاص علي أن يكون التحكيم في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧ هـ ؛ وعندما حان هذا الموعد اجتمع الحكمان أبو موسى وعمرو ، واجتمع الحكمان في بلدة أنرح بجوار دومة الجندل ، وكان مع أبي موسى أربعمائة من الجنود عسكروا بعيدا عن منطقة التحكيم ومع عمرو مثلهم تماما ؛ واتفق الحكمان علي عزل علي ومعاوية معا علي أن يختار المسلمون من يرون فيه الصلاح بعد ذلك ؛ وكان دائما يقدم عمرو بن العاص علي نفسه أبو موسى الأشعري في الحديث بحجة أكبر منا سنا ، وجاءت لحظة إعلان هذا الاتفاق علي الجمد وكثرة كبيرة من المسلمين كانوا في انتظار هذه النتيجة .

وقد عمرو بن العاص كعادته أبا موسى الأشعري وقال له : تقدم وأعلم الناس علي ما اتفقنا عليه ؛ وهنا تحدث عبدالله بن عباس مع أبي موسى وحذره أن يتكلم قبل عمرو بن العاص وقال له : ويحك واللع إني لأظنه قد خدعك ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا أقمت في الناس خالفك ، فقال أبو موسى إنا قد اتفقنا ؛ وتقدم أبو موسى وقال : بعد الحمد لله والثناء عليه ؛ أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نري أصلح لأمرها ولا ألم بشملها من أمر قد اجتمع رأسي ورأي عمرو عليه ، هو أن نخلع عليا ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت علي ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ؛ ثم تنحي أبو

موسي ، ووقف عمرو مكانه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه علي وأنا أخلعه كما خلعه وأثبت صاحبي فإنه ولي عثمان .

وهنا شتم أبو موسى الأشعري عمرو بن العاص وحدث هرج ومرج وماج القوم ، وأقبل شريح بن هاني رئيس الوفد العلوي فضرب عمرو بسوطه ، وحجز الناس بينهما ؛ وانطلق أبو موسى وأقبل علي راحلته وذهب إلي مكة ؛ وعاد أصحاب علي إلي علي بالكوفة يجددون له البيعة ، وذهب أهل الشام إلي معاوية وهنئوه بالخلافة ، وجاءت نتيجة التحكيم لصالح معاوية لا لإعلان خلع علي وتنصيبه ، بل للانقسام الذي حدث بين صفوف جيشه ، فقد ظل معظم الجيش تابعا ومع علي بن أبي طالب ؛ وخرجت فئة كبيرة من جيش علي رفضت التحكيم بأي صورة من الصور وأطلق عليهم اسم الخوارج ، ثم أعلنوا عصيان علي بن أبي طالب ، وانشق عليه عددا وانشق عنه وأقاموا بالنهروان وبدعوا يسيئون إلي علي بن أبي طالب وقتلوا الرجال وبقروا بطون النساء وهذا في نفس الوقت الذي يعد علي العدة لحرب معاوية بالشام ؛ ولذلك زحف علي الخوارج وهو علي رأس أربعة آلاف محارب ؛ وقبل القتال استطاع علي بعد مناقشات أن يضم منها ثمانية آلاف ، وحارب الذين رفضوا طاعته في النهروان وقتلهم عام ٣٨هـ وانتصر عليهم وسميت هذه المعركة باسم النهروان .

وقتل معظم الخوارج في النهروان وبقي منهم عدد قليل جدا وتشتتوا ما بين اليمن والجزيرة وسجستان وعمان وظلوا ينشرون مبادئ الخوارج في هذه البلدان حتي استطاعوا أن يكونوا فرقا تحت هذا المسمى ؛ وأراد علي أن يجمع جيشه لقتال معاوية بالشام فلم يجد جيشه حماسا وحثهم علي القتال ولكنهم تكاسلوا وامتنعوا عن التجهيز للحرب وانفضوا من حول علي ابن طالب إلا القليل منهم ؛ وقد أثر هؤلاء الإقامة بالكوفة والدعة والسكون علي القتال ، وهذا علي عكس معاوية بن أبي سفيان الذي قوي شأنه وبدأ بعد الصحابة الالتحاق بالشام عنده مثل سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر ، واستعمل الحيلة معاوية إلي أن جعل علي بن أبي طالب يقوم بعزل قيس بن سعد بن عبادة واليه علي مصر ويولي بدلًا منه محمد بن أبي بكر ؛ وبذلك تمكن معاوية من إثارة الفتنة داخل معسكر علي الذي بدأ في الضعف ؛ ومعسكر معاوية الذي يقوي يوما بعد بسبب كثرة المنضمين له والمنفضين من حول علي .

أخذ معاوية في مهاجمة الأقاليم الإسلامية التابعة لعلي بن أبي طالب ويقوم بضمها له ؛ فأرسل إلي مصر جيشًا بقيادة عمرو بن العاص وكان واليا عليها محمد بن أبي بكر الصديق وكان محمد شابا تنقصه الخبرة والحكمة في إدارة الأمور وعندما جاء واليا علي مصر أساء لأهل مصر التابعين لعثمان بن عفان ومعاوية ولم يعرف اصطناعهم ؛ ولما جاء جيش عمرو إلي مصر وانضم إليه أهل مصر الناقمين علي محمد بن أبي

بكر مع عمرو في المثناة ودارت معركة انتصر فيها عمرو ثم قام بقتل محمد بن أبي بكر وأصبحت مصر تابعة لمعاوية وحكمها عمرو طوال حياته كما وعده معاوية من قبل ؛ واستطاع معاوية ضم الحجاز واليمن من علي بن أبي طالب وبدأ يهاجم العراق بنفسه وفي سنة ٥٣٩ هـ ؛ ولم يبق لعللي سوي العراق وفارس ؛ وبدأ الروم يهاجمون حدود الشام ولذلك لجأ معاوية إلي تهدئة الأحوال مع علي بن أبي طالب وحدثت مراسلات بين علي ومعاوية وأنهوا حالة الحرب سنة ٤٤٠ هـ علي ألا يتدخل كل منهما في شئون الآخر ؛ وذلك ليستعد معاوية لقتال الروم والدفاع عن بلاد الشام .

مقتل علي بن أبي طالب ونهاية حكم الخلفاء الراشدين :

وعندما تمادي معاوية بن أبي سفيان في الإغارة علي الدولة العربية التي تحت إمرة الخليفة علي بن أبي طالب فصمم علي قتال معاوية وأخذ يستنهض جنوده علي الجهاد ضد معاوية وأهل الشام ولذلك بايعه حوالي أربعين ألفاً من أهل العراق علي القتال حتي الموت ، وخاصة أن معاوية ذهب إلي القدس وأخذ البيعة لنفسه سنة ٤٤٠ هـ ؛ ولكن تعاهد الخوارج علي أن يقتلوا زعماء هذا النزاع وهم علي ومعاوية وعمرو بن العاص وكان ذلك في مكة ورأوا بقتلهم إراحة للأمة الإسلامية ؛ فتعهد عبدالرحمن بن ملجم بقتل علي بالكوفة ، وتعهد

الحجاج بن عبدالله بقتل معاوية بينما تعهد عمرو بن بكر التميمي بقتل عمرو بن العاص .

ووصل عبدالرحمن بن ملجم الكوفة وأقام بها ليتحين فرصة الإنقضاض علي علي ؛ ولما خرج لصلاة الفجر وثب عليه عبدالرحمن بن ملجم وقال له : الحكم لله يا علي لا لك ، وضربه بسيفه فقتل علي ، وفشل الحجاج بن عبدالله في قتل معاوية وكتب له البقاء وأقام عمرو بن بكر التميمي ولكن عمرو لم يخرج للصلاة وخرج مكانه خارجة بن حذافة صاحب الشرطة في مصر ، فقام الخارجي بقتله وهو يظن أن عمرو بن العاص ولكن الله كتب له البقاء وانتهت حياة علي بن أبي طالب بمسجد الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ ، وقد بويع للحسن بن علي بالخلافة بعد وفاة والده سنة ٤٠ هـ وعلم بقدوم معاوية إليه علي رأس جيشه من أهل الشام ، فجمع الجيش الحسن بي علي وعسكر بالمدائن ؛ ولكن معاوية أرسل إليه المغيرة بن شعبة وعبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن أم الحكم ، وأشاعوا بين جيش علي أن الحسن حقن الدماء وأراد الصلح مع معاوية ، وصدق رجال الحسن هذا الكلام وكادوا يعتنوا علي الحسن بن علي بسبب ذلك ولذلك كره الحسن رجاله .

وعندئذ أيقن الحسن أن جند العراق غير جادين في نصرته ، ولذلك كتب إلي معاوية يطلب الصلح معه ؛ ففرح معاوية بذلك ووافق علي جميع شروط الحسن علي أن يتنازل الحسن لمعاوية علي الخلافة فأرسل

له معاوية صحيفة بيضاء ومختومه بخاتمه وطلب من الحسن أن يشترط ويطلب ما يشاء فهو له ، ولذلك اشترط الحسن علي معاوية إذا ترك له الخلافة يحصل علي خمسة ملايين درهم وهم بين مال الكوفة ، ويحصل علي خراج كورتين من كور فارس ، وأن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، ولا يحق لمعاوية أن يعهد بالخلافة لأحد من بعده ، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين بعد معاوية ، ويأمن الناس علي أموالهم وذراريهم ، ووافق معاوية بل تعهد بكل هذه الشروط ، وعلي ذلك تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٦٤٠/٦٦١ م .

أعتلي معاوية الخلافة وبالغ في وصل الحسن بن علي وإرضاءه ، وعاش الحسن في المدينة في رغد من العيش وأصبح عام أربعين هجرية هو الجماعة الأول لأنه حقن دماء المسلمين وأنهى الفتنة ، ودخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها ومعهم الحسن ، وعاش الحسن بالمدينة حتي مات سنة ٥١ هـ ، وأصبح معاوية بن أبي سفيان الخليفة الوحيد للمسلمين منذ سنة أربعين هجرية ، وأصبحت دمشق هي عاصمة الخلافة الإسلامية ؛ ولكن كان هناك بعض الفرق الإسلامية التي ظهرت خلال فتنة علي ومعاوية ، وظلت تعمل بمبادئها بالرغم من انتهاء الفتنة بين آل علي ومعاوية ، وهي الهاشمية وهم بني هاشم وعرفوا أيضا بالشيعية لأنهم أنصار علي بن أبي طالب وتفرعت منهم أحزاب كثيرة ؛ والعثمانية وهم

الذين طالبوا بدم عثمان من قتلته ، وتحول فيما بعد إلي الحزب الأموي أو حزب أهل الشام ؛ والخوارج وهم الذين أنكروا علي علي التحكيم ، ورأوا أن الخلافة حق لكل مسلم وليس حكرا علي علي أو معاوية ، وانقسم هذا الحزب إلي فرق كثيرة مثل الصفرية والأياضية وغيرها ؛ وظهر حزب المرجئية وهم الذين نادوا بترك الامر لله يوم الحساب ، واعتزلوا الفتنة ، وخرج منهم أصحاب مبدأ المعتزلة فيما بعد .

الفصل الخامس

الفصل الخامس

عصر الخلفاء الأمويين

(٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٦٨٠م)

- ١ معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ / ٦٦١ - ٦٨٠م)
- ٢ يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٢م)
- ٣ معاوية بن يزيد (٦٤هـ / ٦٨٣م)
- ٤ مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ / ٦٨٣-٦٨٥م)
- ٥ عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م)
- ٦ الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥م)
- ٧ سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ / ٧١٥-٧١٦م)
- ٨ عمر بن عبدالعزيز (٩-١١هـ / ٧١٨-٧٢٠م)
- ٩ يزيد بن عبدالملك (١٠١-١٠٥هـ / ٧٢٠-٧٢٤م)
- ١٠ هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٤م)
- ١١ الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٤-٧٤٤م)
- ١٢ يزيد بن الوليد (١٢٦هـ / ٧٤٤م)
- ١٣ إبراهيم بن الوليد (١٢٦هـ / ٧٤٤م)
- ١٤ مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢هـ / ٧٤٤ - ٧٥٠م)

أولاً : مظاهر الحضارة في الخلافة الأموية :

يعتبر معاوية بن أبي سفيان المؤسس الأول للدولة الأموية ، فهو الذي انتقلت إليه الخلافة بعد علي بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين سنة ٥٤٠ هـ ؛ ولم يذل معاوية بن أبي سفيان الخلافة الإسلامية بإجماع كافة آراء المسلمين عليه ؛ فبايعه كثير من المسلمين علي أن خلافته أمراً حتمياً وخضوعاً للواقع الأليم وأنه لا سبيل غيره وهذه كانت مبايعة أهل العراق له ؛ وهناك بعض المسلمين الذين بايعوا وهم كارهين له ، فكان يحضر الرجال فيقول والله يا معاوية إنني لأبايعك وإنني لكاره لك : فيرد عليه معاوية : بئع فإن الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً ؛ ولم يبايعه علي طوعاً ورضاً إلا أهل الشام الذين إنحازوا إلي معاوية بسبب تقربه لهم ومحاباتهم طوال ولايته علي الشام منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكانت بلاد الشام خير معقلاً لمعاوية بن أبي سفيان ، فقد استقامت له الأمور بعد أن استقل بها بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وعمل جاهداً لكسب جانبهم فرفع أعطياتهم ، وقام بنقل بيت المال من الكوفة إلي دمشق ؛ ووجد معاوية نفسه مكروهاً من أهل العراق ، فنهج سياسة اللين والتقرب للعراقيين حتي يكسبهم في جانبه ، فعهد بذلك إلي

بعض رجاله والذين قربهم إليه مثل المغيرة بن شعبه الذي عينه علي الكوفة سنة ٥٤١ / ٦٦١ م ، وأسند ولاية البصرة إلي زياد بن أبيه سنة ٥٤٥ / ٦٦٥ م بدلا من عبدالله عامر ، ولما مات المغيرة بن شعبه سنة ٥٥٠ / ٦٧٠ م ضم لزياد بن أبيه ولاية الكوفة إلي البصرة ، وبذلك أصبح حاكمًا للمشرق كله ، وأصبح الفرس يرهبون زياد بن أبيه لضبطه وحزمه لهذه البلدان ، ولذلك شبهوه بكسري لأنه اتخذ نفس سياسة كسري انوشروان في إدارة دفة أمور بلاد فارس بين الشدة واللين ووضع الأمور في نصابها .

واتبع معاوية في خلافته سياسة جديدة تختلف عن سياسة الخلفاء الراشدين الذين اختاروا ولاتهم من كبار الصحابة والمشهود لهم بالعدل والدين ؛ إنما أراد معاوية في ولاية الأقاليم وضع رجال يضبطون أمرها ويخضعون أهلها لسلطانة سواء رضوا أو لم يرضوا ، فاختار عمرو بن العاص صديقة وصاحب خدعة التحكم علي مصر واليًا منذ سنة ٥٣٨ / ٦٥٨ م ، وتركها له طعمة طوال حياته علي ان يدفع رواتب الجند ومصاريف مرافقها ، وذلك مكافأة له علي ما صنعه في موضوع التحكيم وفعلة للخدعة التي جاءت بمعاوية خليفة للمسلمين ، ومكنته من السيطرة علي بلدان الخلافة بعد موت علي مباشرة ؛ ولكن عمرا مات سنة ٥٤٣ / ٦٦٤ م ولم يهنا بمصر زمنا طويلا كما كان يظن .

ونال معاوية بيعة أهل العراق وأهل الحجاز ووعد بني هاشم بأنه لن يتعرض لهم بسوء وأنه يحافظ علي دماهم وكان العام الذي تنازل فيه الحسن بن علي لمعاوية يعرف بعام الجماعة ٥٤١هـ / ٦٦١م ، وفيه حصل معاوية علي بيعة بلدان المسلمين كلها ، وبالع معاوية في مظاهر الخلافة وغير من مظاهر الراشدين ، فبعد أن كانت تتخذ طابع الدين البحت ، اتخذت طابع السياسة أكثر من الطابع الديني ؛ حتي ان كان يطلق علي نفسه كما ذكر اليعقوبي أنا أول الملوك ؛ وفي نفس الوقت كان يظهر بمظهر شيخ العرب ؛ وعلي الرغم من ذلك سارت الدولة الأموية علي الصفة الدينية لأن دستورها الإسلام وهو دين ودولة ؛ ولكن معاوية استحدث مظاهر بالخلافة اختلفت عن الراشدين ، فقد سكن في قصر أسماه (الخضراء) وجلس فيه علي سرير تشبهاً بملوك الفرس والروم ، ووضع الستائر ووضع الحجاب علي أبوابها ، وأمر الحراس تسير بالسلح من حوله ؛ وأنشأ المقصورة بالمسجد عند صلاته ، وذلك لتوفيه الحماية له .

وأهم ما يبرر ما استحدثه معاوية في الخلافة انه كان واليا علي الشام وتأثر كثيراً بمظاهر الأبهة والفخامة لدي حكام الروم والفرس ؛ ولم يعيش معاوية بالحجاز قبل الخلفاء الراشدين ، إنما قضي معظم حياته بالشام ودمشق فكانت في نظر العرب لجنة لغناها ومظهرها الحسن ، وموقعها المختار ، ومقدسة لوجود الصخرة بالقدس التي عرج منها النبي

إلي السماء في ليلة الإسراء والمعراج ، وهي مركز الأنبياء والرسل ، حتى أن العرب رأوا الخليفة عمر جاء إلي الشام ظنوا أنه ترك المدينة وأراد الإقامة ببلاد الشام .

واستحدث معاوية في نظام الخلافة أمر جليلاً وهو نظام الوراثة الذي نزل علي المسلمين كوقع الصخر أو الصاعقة ، فنظام لم تعرفه القبيلة العربية في الجاهلية أو الإسلام ، ولم ينص عليها ولم يتخذها الرسول عليه السلام أو الخلفاء الراشدين ؛ وهذا النظام كان معمولاً به في الدولة البيزنطية والدولة الفارسية ؛ وقيل أن الذي أوحى بذلك معاوية هو المغيرة بن شعبة ، الذي فطن معاوية إلي عقد البيعة لابنه يزيد حقناً لدماء المسلمين وأجمع كلمتهم بدلاً من إراقة الدماء كما حدث بعد عثمان بن عفان ، وبذلك يكون قد وفر المسلمين كثيراً من الاختلافات والنزاعات ؛ ولكن هذا يتنافى مع مبدأ الانتخاب الذي سار عليه الخلفاء الراشدون .

استطاع المغيرة أن يقنع أهل العراق بالكوفة الذين أيدوا معاوية في بيعته ليزيد ، بل أرسلوا وفدًا لمعاوية لمبايعته بيعة يزيد كولي للعهد ؛ ثم توالى بعد ذلك البيعة من أهل البصرة عن طريق زياد بن أبيه ؛ ثم لم يبق من الأمصار سوي الحجاز وهي موطن الصحابة وأبنائهم وهي المنطقة التي كان معاوية يخاف من معارضتها ويعمل لها حساباً ؛ وكان بها زعماء العرب منهم الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر وعبدالله بن

العباسي وعبدالله بن الزبير ، ولذلك امتنعوا عن مبايعة يزيد بالخلافة ؛ إذا حدث انتخاب وشوري لكانت الخلافة من نصيب أحدهم ؛ وظلوا كذلك حتي مات معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٦٠ / ٦٨٠ م .

وعندما مات معاوية تولى يزيد الخلافة بعد أبيه ، ظهرت الفرقة والنزاعات ، فكان أول هذه الفرقة من أهل الكوفة الذين بايعوا معاوية علي بيعه يزيد تحت الترغيب والتهديد ؛ فسرعان ما فاضوا الحسين بن علي في الخروج إليهم لمبايعته ؛ وعندما خرج لهم قتل في كربلاء سنة ٥٦١ / ٦٨١ م ، ثم أخذ البيعة عبدالله بن الزبير لنفسه عندما علم بمقتل الحسين ؛ وظل علي البيعة بالخلافة بالحجاز حتي مات يزيد بن معاوية سنة ٥٦٤ / ٦٨٤ م ، وقد خلف ابنه معاوية الثاني بن يزيد دون أن يعهد لآخر من بعده ، وإنما تركها للمسلمين لحرية الاختيار والشوري .

وسرعان ما دب النزاع علي منصب الخلافة مرة أخرى ؛ وظهرت العصبية بين القبائل العربية في بلاد الشام ؛ فنجد في شمال الشام قبيلة قيس والذين أطلقوا عليهم القيسية كرهوا حكم الأمويين لأنهم إعتدوا علي القبائل اليمنية دونهم ؛ ولذلك اجتمع القيسيون تحت زعامة الصحاك بين قيس الفهري (حاكم دمشق) ، وانضم إليه النعمان بن بشير حاكم حمص ، وزفر بن الحارث الكلابي والي قنسرين ، ونائل الصحاك بن قيس الفهري (حاكم دمشق) ، وانضم إليه النعمان بن بشير حاكم حمص ، وزفر بن الحارث الكلابي والي قنسرين ، ونائل بن قيس عامل فلسطين

؛ وأرسلوا وفودهم إلي مرج راهط وبايعوا عبدالله بن الزبير بالخلافة ، وعلي الجانب الآخر اجتمعت القبائل اليمينية ببلاد الشام وهم قبائل كلب وقضاة وغيرهم ، وأيدوا بني أمية ووافقوا علي أن تكون الخلافة فيهم ؛ لأنهم أخوال يزيد بن معاوية ؛ واجتمعوا تحت زعامة حسان بن مالك الكلابي في الجابية ورشحوا للخلافة مروان بن الحكم ، لأنهم كانوا يريدون ترشيح خالد بن يزيد ولكنهم أرجئوه بسبب صغر سنه ؛ ولكنهم علي مروان سنة ٥٦٤ / ٦٨٤ م ، وشرطوا علي أن تكون الخلافة لخالد بن يزيد بعد موت مروان بن الحكم .

وعندما تولي مروان بن الحكم كان أول أعماله هو القضاء علي اليمينية ؛ فخرج مروان في جموع اليمينية وتقابل مع جموع القيسية في مرج راهط ودارت معركة شديدة ؛ وانتصر فيها مروان بعد أن شنت شمل القيسية وقتل زعيمهم الصحاك بن قيس الفهري ؛ وهنا استيقظت العصية القبالية من مرقدها وانبعثت في الأمصار الإسلامية حيث الصراع بين القيسية واليمينية أو عرب الجنوب وعرب الشمال ؛ وبالتالي أصبحت الخلافة في الفرع المرواني وانتقلت من الفرع السفيني .

أضف إلي ذلك كان من أهم تطورات الخلافة الأموية تولية العهد لأكثر من واحد ، وهذا الأمر أدي إلي الانقسام في البيت الأموي ولذلك خرج علي الخليفة عبدالملك بن مروان وقام بثورة ، دمشق عمرو بن سعيد سنة ٧٠ هـ ، ثم تخلص منه عبدالملك بن مروان ، وعهد عبدالملك بن مروان

لولاية العهد لأبنيه الوليد ولسليمان منه بعده ولذلك بعد تولية الوليد بن عبد الملك فكر في نقل ولاية العهد لابنه عبدالعزيز بدلا من سلميان أخيه ؛ وعلي الرغم من مبايعة معظم الولاة له ، إلا أنه مات قبل أن يتحقق له هذا الأمر ؛ وولاية العهد لأكثر من واحد خلال العهد الأموي أدى إلي وجود الشحناء والشقاق بين البيت الأموي وكان من أهم عوامل زوال الدولة الأموية .

ثانياً : موقف الأمويين من الأحداث السياسية بالدولة العربية :

(١) موقف الأمويين من أحداث العراق :

تعتبر أحداث العراق من أهم مجريات الأمور ضد الأمويين ، فكما تعلم أن أهل الكوفة يميلون إلي العلو بين أي أبناء علي بن أبي طالب الذي أقام بينهم ونقل عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة إلي الكوفة ، ولذلك نري أهل الكوفة بعد موت معاوية بن أبي سفيان مباشرة سنة ٥٦٠ / ٦٨٠ م ، أرسل أهل الكوفة إلي الحسين بن علي وكتبوا له مبايعة باللفة وقالوا في رسالتهم " إنا قد حسبنا أنفسنا علي بيعتك ، ونحن نموت دونك ، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك " ؛ لأنهم كانوا يعتبرون عصر علي عرصهم الذهبي فهو الذي صنع من الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية ، وكانوا لا يعترفون بالصلح الذي عقده الحسن بن علي مع معاوية ؛ بل ولا يعترفون ببني أمية ، وكانوا متذمرين جدا من موقف ولاة معاوية من سب علي والترحم علي عثمان أثناء خطبهم الجمعة .

وكان من أهم زعماء الشيعة بالكوفة حجر بن عدي الذي كان من أمصار علي المخلصين وثار ضد والي معاوية الغيرة بن شعبة ، ولذلك لجأ المغيرة إلي سياسة اللين والتسامح مع حجر بن عدي وأغدق عليه الأموال ؛ ولما ولي زياد بن ابيه الكوفة بعد موت المغيرة بن شعبة ، جعل زياد في خطبة سب علي والترحم علي عثمان ؛ ولذلك ثار حجر بن عدي زعيم الشيعة بالعراق ، وكانوا يرمون والي الكوفة عمرو بن الحريث - نيابة عن زيادة بالحجارة ، وهو يخطب علي المنبر ؛ حتي بلغ ذلك زياد بن أبيه ، والذي قبض علي حجر بن عدي وأرسله إلي معاوية بدمشق وقتله .

ولذلك ثار الشيعة كما ذكرنا بعد موت معاوية وأرسلوا إلي الحسين بن علي بالمدينة ، ورفض مبايعة يزيد وذهب إلي مكة ، فأرسل زعماء الشيعة له ، ولذلك أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، ليمهد له السبيل بالكوفة ، ونزل مسلم بالكوفة وأخذ البيعة للحسين من كثير من أهلها إلا أن يزيد بن معاوية أرسل والي الكوفة عبيد الله ابن زياد الذي قام تقبل بالكوفة مسلم بن عقيل بالكوفة ، وكان مسلم أرسل إلي الحسين يبلغه ببيعة أهل الكوفة له ويأمره بالقدوم إلي الكوفة ؛ ولما سار إلي الكوفة الحسين وكان لا يعلم بمقتل ابن عمه مسلم بن عقيل ، حتي شارف حدود العراق ، وقد قابله رجال من بني أسد فأخبراه بمقتل مسلم وأشاروا عليه بالرجوع لأن ليس له بالكوفة شيعة ولا أمصار ، وهم

الحسين بالرجوع إلي مكة ، ولكن أخوة مسلم أحووا عليه بدخول الكوفة ليأخذوا ثأر أخيهم ، فوافقهم ودخل العراق .

وعندما علم عبيد الله بن زياد والي الكوفة بقدوم الحسين أرسل أحد قادته وهو الحصين بن غير ومعه أربعة آلاف فارس ليحاصروا الكوفة من الخارج حتي يدخلوا منها ولا يخرجوا منها أحدا ، وعندما اقترب الحسين من الكوفة تصدت له فرقة من الفرسان الأمويين ومنعوه من دخول الكوفة ، ولذلك لجأ إلي كربلاء وكان معه حوالي خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو من مائة من الرجال ، وكان ذلك أو شهر محرم سنة ٦٨١ / ٥٦١ م ؛ وعسكر الحسين في هذه المنطقة ؛ وانتدب عبيد الله بن زياد واحد قادته وهو عمر بن سعد بن أبي وقاس علي رأس فرقة من أربعة آلاف فارس جاءوا مواضع المياه وعزلوها عن شرب عسكر الحسين ؛ واضطر الحسين إلي القتال في ٩ محرم ، وقتل معظم أصحابه ، وفي يوم ١٠ محرم قتل علي بن الحسين بن علي ثم عبدالله بن مسلم ، وحاصرت جيوش العراق الحسين بمفرده بعد أن قتل كل من حوله ؛ وكان عددهم اثنين وسبعين رجلاً ، ثم قام بقتله شميرين ذي الجوش ، وأخذت رأسه مع باقي أهله وأرسلها عبيد الله بن زياد إلي يزيد بن معاوية بدمشق ، وفكر يزيد أن هذه نهاية معارضة أبناء علي بن أبي طالب في خلافة الأمويين ولكن هيهات بل كانت بداية لطريق موحش مليء بالقتل والدم علي ما ارتكبه عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية

الليدان لم يقدر حقائق الأمور أو حجمها ، فسرعان انتشر خبر موت أو قتل الحسين بن علي بين أهل حتي أعلنوا العصيان هم أهل فارس أيضا ، وأدت هذه الواقعة إلي تطور الشيعة ، فقد كان التشيع في العراق وفارس أمرا نظريا فسرعان ما أصبح عقيدة راسخة عملية في نفوس الشيعة ؛ ورأوا أن لا يغسل هذا العار إلا قتل من قتل الحسين ؛ وتزعم هذه الحركة سليمان بن صرد الخزاعي واشترك معه أربع من زعماء الشيعة من قبائل الأزد وبكر وفزارة وبجيلة .

وحد صفوف الشيعة سليمان بن صرد واستطاع جمع أعداد كبيرة من الكوفة والبصرة لمحاربة واليهما عبيد الله بن زياد ، واعتبروه المسؤول عن مقتل الحسين بن علي ؛ ومات يزيد بن معاوية في هذه الأثناء وتولي الخلافة الأموية مروان بن الحكم ؛ وزحف الشيعة نحو عين الوردة بالعراق وأطلقوا علي أنفسهم التوابين ؛ وفي سنة ٦٥ هـ مات مروان بن الحكم وتولي عبدالملك بن مروان ؛ وطالب الشيعة بعزله وبتسليم عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ليقتلوه ولكن جيش عبدالملك رفض طلباتهم ، ودارت معركة بعين الوردة وانتصر فيها الجيش الأموي علي الشيعة وقتل فيها سليمان بن جلاد الخزاعي زعيم الشيعة ؛ وفر الباقيون إلي الكوفة واختفوا فيها ، وانتظروا جولة أخري لتحقيق أغراضهم فيها ضد الأمويين .

(ب) ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي وعبدالله بن الزبير :

ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي مناصرا لبني علي بن أبي طالب ، وكان دعوته إلي بن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طالب لأن أمه كانت من بني حنيفة وهو اخ الحسين والحسين ؛ وكان المختار علي عكس قبيلته بني ثقيف الناصرة لبني أمية ؛ والمختار بن القائد أبي عبيد الثقفي الذي قتل في معركة الجسر بالعراق ضد الفرس سنة ٥١٣ / ٦٣٤م ، كما ذكرنا من قبل ؛ وعرف عنه بالتشيع لأبناء علي وهو بالكوفة ولذلك سجنه زياد بن ابيه ثم ابنه عبيد الله بن زياد ، وكانت تهمة بأن انضم إلي مسلم بن عقيل عندما دخل الكوفة وأخذ البيعة من أهلها للحسين بن علي ، ولكن عبدالله بن عمر قد شفع له عند عبيد الله بن زياد وأخرجه من السجن لأن ابن عمر زوج أخت المختار الثقفي ؛ ثم عاد المختار إلي بلدة الطائف ، ولكنه انضم إلي ثورة أو حركة عبدالله بن الزبير ضد بني أمية ، وقاتل في صفوف عبدالله أثناء قتال الحسين بن نمير القائد الأموي ؛ ثم رجع مرة أخرى إلي الطائف وأخذ يجمع الجند للقتال بجانب ابن الزبير ضد الأمويين .

كبرت حركة بن الزبير وأرسل عامل له استولي علي الكوفة ، وعندئذ رجع المختار إلي الكوفة وجمع شمل الشيعة من حوله جميعهم وانضم إليه ابراهيم ابن الأشتر النخعي ؛ ونجد المختار يدخل الكوفة ويطرد عامل ابن الزبير منها ، ويعلن ولايته عليها كزعيم للشيعة والمطالبين بدم الحسين بن علي ، سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥ م وصارت الشيعة

أيضا تدعو إلي ابن الحنفية ، ودخل عدد كبير من بلاد فارس في جيش المختار وأعلنوا ولائهم له ، وأطلق عليه الشيعة الذين ترأسهم المختار اسم المختارية ، أو الكسيانية نظراً لذكر المختار وكياسته ؛ وأنه يوجه الدعوة لابن الزبير علي أن ينضم إليه ويشايع محمد بن الحنفية ، ولا يدعو لنفسه ، وكان بنو هاشم ومعهم محمد بن الحنفية يصانعون عبدالله بن الزبير لأنه هددهم بحرقهم بالنار إذا عارضوه ، ولذلك لجأوا إلي الجبال هرباً منه ، ثم أرسل المختار فرقة من جنده إلي الحجاز أرهبت ابن الزبير حتي خفف الاضطهاد عن آل البين بالحجاز .

وجمع المختار قواته وتوجه للقتال عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، ووضع علي قيادة جيشه ابراهيم بن الأشتر ، وتقابل مع الجيش الأموي الذي قيادته عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير عند نهر الخازر بالقرب من الموصل سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م وحدث قتال شديد انتصر فيه جيش المختار علي الجيش الأموي وقتل عبيد الله بن زياد وقبض علي الحصين بن نمير ، وأرسلوه إلي المختار الذي تفنن في قتله ، وكانت هزيمة قاسية علي بني أمية وعلي الخليفة عبدالملك بن مروان بدمشق ، وأقام المختار عمالة بالعراق فولى ابراهيم بن الأشتر الجزيرة ؛ وهنا تتبع كل من له يد في مقتل الحسين ، فقتل سمر بن ذي حوش قاتل الحسين ؛ وقتل عمر بن سعد بعد أن عذبه عذاباً تقشعر له الأبدان ، وكان جملة من قتلة المختار بسبب الحسين بن علي ما يقرب من عشرين ألف

شخص ؛ وبذلك اعتبر المختار قد أخذ بثأر الحسين من قاتله ومن بني أمية ؛ حتي قال بنو هاشم أخذ ثأرنا ، وأصبح المختار في ذلك رجل اليوم . علي أن الأمر لم يسر كما ينبغي إنما جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن ، فكانت مدينة البصرة تابعة لابن الزبير ويحكمها مصعب بن الزبير ، وكان أهلها لا يميلون إلي الشيعة منذ حياة علي بن أبي طالب ؛ ولذلك سارع مصعب بن الزبير ومعه المهلب بن أبي صفرة واستمال ابراهيم بن الأشتر لجانبه ضد المختار ، وكون مصعب جيشا كبيرا من أهل البصرة وزحف نحو الكوفة وهاجمها وكان المختار في قلة بين أصحابه ، فقاتل في صبر لمدة أربعة شهور متتالية ، حتي قتل المختار في قصر الامارة علي يد مصعب بن الزبير ، وكان ذلك في ٦٨ هـ / ٦٨٧ م ، وأخذ مصعب رؤوس القتلة وأرسلهم إلي أخيه عبدالله بن الزبير بمكة ، واضطهد أهل الكوفة بالقتل والتعذيب ، حتي نساء المختار عذبهم وقتل إحداهم ، ورجع العراق كله إلي سلطة ابن الزبير وهذا يعتبر في صالح بني أمية ، إذ أن مصعب خلصهم من طر المختار ، ولكن أصبح مصعب يمثل خطراً جسيماً لعبد الملك بن مروان ، الذي أخذ يدير مهمة القضاء علي مصعب بالعراق وأخيه عبيد الله بمكة .

اتخذ الخليفة عبدالملك بن مروان قراراه بالقضاء علي حركة ابن الزبير ؛ فبدأ بأخيه مصعب بالعراق وجمع جيشا كثيفا سار علي رأسه بنفسه ولكثرة هذا الجيش لم يستطع عبدالملك السيطرة عليه في السير

نحو العراق ، فكان يتلف منه الآلاف دون أن يشعر بهم ؛ ولذلك بحث عن قائد صارم يحكم هذا الجيش ، فوقع إختياره علي الحجاج بن يوسف القفي : الذي الشدة والعنف مع العسكر ، فضبطهم ووحدهم وصاروا خاضعين لأوامره من رهبته وشدته ؛ وزحف عبدالملك إلي العراق وهزم قبائل القيسية وصالح زعيمها ركز بن الحارث فدخل في طاعته ثم اقترب من معسكر مصعب بن الزبير ، فإستمال أهل العراق الذين انضموا كلهم إلي عبدالملك بن مروان وتركوا مصعب وهزمه ، وأتي به فقطعت رأسه هو وأتباعه ، وطوف برأسه في الكوفة ومصر والشام سنة ٥٧٢ / ٦٩١م ؛ وضم عبدالملك للخلافة الأموية .

ونجد أن مصعب بن الزبير قد ذاق من نفس الكأس الذي ذاق منه المختار بن عبيد الثقفي ، فلو تعاون مع المختار بدلًا من قتله ، لما قتل بل أن وحدتهما كانت كفيلة بسقوط الخلافة الأموية ، ولكن كل منهما لم يفتن إلي ذلك وطمع في الآخر ؛ واصفة مصعب بن الزبير ، وبعد هزيمته وقتله ؛ وجه عبدالملك بن مروان جهوده للقضاء علي أخيه عبدالله بن الزبير في الحجاز ووجد في ذلك فرصته ؛ وكان بن الزبير مسيطرًا علي الحجاز وعجزت الدولة أن تفعل شيئًا ضده ، وذلك منذ عهد يزيد بن معاوية ؛ حتي أن الزبير هزم جيش الخليفة مروان بن الحكم في الريزة سنة ٥٦٥ / ٦٨٤م ؛ وأرسل عبدالملك جيوشه استولوا علي معظم الحجاز ما عدا مكة والمدينة ثم أرسل جيشًا تحت قيادة القائد

الحجاج بن يوسف القتي وصمم الحجاج علي قتل ابن الزبير انتقاما لمقتل والده يوسف الثقفي بالربذة ؛ فاستولي علي المدينة ، ثم هاجم مكة وقصفها بالمنجنيق من أعلي جبل أبي قبيس سنة ٧٢ هـ / ٦٩٢ م ؛ وحاصر مكة لمدة ستة شهور ، وأذاق أهلها الجوع ؛ فترك معظمهم ابن الزبير وذهب إلي الحجاج وانضم إليه ورحب بهم الحجاج وأكرمهم وأمنهم ، وبلغ عدد من ترك ابن الزبير وانضم الحجاج آلاف رجل ومنهم بعض أبنائه ؛ حتي انه حاصره داخل مسجد الكعبة وكان ابن الزبير يقاتلهم بشجاعة وقوة وصمود .

وهنا عرف عبدالله بن الزبير أنه مقتول لا محالة عن ذلك ، وكان عمره ثلاثة وسبعين سنة ؛ وعندما نصيحة أمة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وكانت تبلغ من العمر المائة عام ، وقال لها يا أماه إنني أخاف أن ظفر بي أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني " ، فقالت له أمه " يا بني إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها " ، وكان داخل المسجد فقتل به سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م ، كما قتل كل من معه ؛ وبذلك انتهت ثورة ابن الزبير وأصبح عبدالملك بن مروان حاكما مطلقا لكافة بلدان الخلافة ولهذا أطلق علي عام ٧٣ هـ هو عام الجماعة الثاني ، لأن انتهت كافة الفتن والثورات في كافة البلدان الإسلامية .

وتمكن الحجاج من إيذاء بني هاشم بمكة لولا أوامر عبدالملك له بالكف عن ذلك ، ثم اعاد بناء الكعبة بعد أن كان قد بناها عبدالله بن

الزبير ، فأرجعها إلي ما كانت عليه ؛ ثم قبض علي أولاد الصحابة وأرغمهم علي البيعة لعبد الملك ؛ ثم توجه إلي المدينة المنورة وأذاق أهلها العذاب ؛ حتي انه ختم علي أيديهم ورقابهم بالرصاص ، بحجة أن قتله عثمان لم يعاقبوا إلي الآن ، وكان من جملة من ناله إيذاء الحجاج بن يوسف مالك بن أنس إمام أهل المدينة وصاحب مذهب مالك ، ولذلك عندما علم عبدالمك بذلك التعذيب والعنف أمر الحجاج أن يكف عن ذلك ؛ حتي أن أرغم أبناء الصحابة والشورى علي الذهاب معه إلي دمشق لتقديم الطاعة والبيع لعبد الملك شخصيًا .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- (١) ابن الأثير ، (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن على بن أبي الكرم
(طبعة بيروت ١٩٦٧ م)
- (٢) الأذني : (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) أبو زكريا محمد بن إلياس -
تاريخ الموصل تحقيق على حبيبة (طبعة القاهرة ١٩٦٧ م)
- (٣) ابن اعثم : (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) أبو محمد أحمد الكوفي -
كتاب الفتوح (طبعة أولي بيروت)
- (٤) البحتري: (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى -
ديوان البحتري - تحقيق حسن كامل الصيرفي (طبعة ثالثة - القاهرة)
- (٥) البلاذري : (ت ١٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر -
فتوح البلدان (طبعة بيروت ١٩٧٨ م)
- (٦) ابن حجر : (ت ٨٥٣ هـ / ٤٤٩ م) شهاب الدين بن على العسقلاني -
الإصابة فى معرفة الصحابة (طبعة القاهرة الأولى)
- (٧) ابن حوقل : (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) أبو القاسم أحمد العقبي -
المسالك والممالك (طبعة ليدن ١٨٧٣ م)
- (٨) ابن خرداية : (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) أبو القاسم بن عبد الله -
المسالك والممالك (ابريل ١٨٨٩ م)
- (٩) ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد المغربي -
العبر وديوان المبتدأ والخبر (طبعة بيروت ١٩٨٣ م)

(١٠) ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ / ١٨٢١ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم
وفيات الاعيان وأبناء الزمان
(ط القاهرة ١٢٩٩ م)

(١١) الدينوري : (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) أبو حنيفة أحمد بن داود -
الاخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر
(طلعة القاهرة ١٩٥٩ م)

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة :

(١٠) ابراهيم العدوي (دكتور) تاريخ العالم الإسلامي (طبعة القاهرة ١٩٨٢ م)

(١١) أحمد شلبي : (دكتور) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

(القاهرة ١٩٧٨ م)

(١٢) بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى- (القاهرة ١٩٥٨ م) . ترجمة حسين مؤنس

(١٣) بطرسوفشكي : الإسلام فى إيران - ترجمة السباعي (القاهرة ١٩٩٣ م)

(١٤) حسن أحمد محمود : (دكتور) الإسلام والحضارة الإسلامية فى آسيا الوسطى

(القاهرة ١٩٦٨ م)

(١٥) د.م دنابوب : تاريخ يهود الخزر - ترجمة سهيل ذكار (القاهرة ١٩٨٧ م)

(١٦) راضي عبد الله عبد الحليم : دراسات فى تاريخ إيران (القاهرة ١٩٨٧ م)

(١٧) زبيدة محمد عطا : (دكتور) الترك فى العصور الوسطى (دار الفكر)

(١٨) سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتور) الدولة البيزنطية (بيروت ١٩٨٢ م)

(١٩) السيد عبد العزيز سالم : (دكتور) تاريخ الدولة العربية (القاهرة أولي)

(٢٠) عبد الرحمن زكي : المسلمون فى العالم (القاهرة ١٩٥٨ م)

الفهرس

رقم الصفحة	الموضع	م
٢٨ - ٤	الفصل الأول	١
٦٣ - ٢٩	الفصل الثاني	٢
١١٨ - ٦٤	الفصل الثالث	٣
١٦٥ - ١١٩	الفصل الرابع	٤
١٨٢ - ١٦٦	الفصل الخامس	٥
١٨٤ - ١٨٣	المصادر والمراجع	٦